سيرة الإمام ناصر بن مرشد

بقلم
عبد الله بن خلفان بن قيصر

تحقيق
عبد المجيد حسيب القيسي

سيرة الإمام ناصر بن مرشد



الطبعة الثالثة

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

رقم الإيداع المحلي : ٢٠١٦/٣٢٢

رقم الإيداع الدولي (ISBN) : ٨-٧٨٣-٠-٩٩٩٦٩-٩٧٨

سلطنة عُمان - ص. ب: ٦٦٨ مسقط ، الرمز البريدي ١٠٠

هاتف : ٢٤٦٤١٣٢٥/ ٢٤٦٤١٣٠٠ فاكس : ٢٤٦٤١٣٣١

البريد الإلكتروني : info@mhc.gov.om

الموقع الإلكتروني : www.mhc.gov.om

تصميم الغلاف : فريق التصميم والإخراج والطباعة - وزارة التراث والثقافة

سيرة الإمام ناصر بن مرشد

بقلم

عبد الله بن خلفان بن قيصر

تحقيق

عبد المجيد حسيب القيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، مالك يوم الدين والعرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً خليله وكليمه ومجتباه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى من والاه... وبعد...

تتشرف دائرة المخطوطات بوزارة التراث والثقافة أن تضع بين أيديكم هذه النسخة المنقحة على المحققة من الكتاب الموسوم بسيرة الإمام ناصر بن مرشد، وله مسمى آخر متداول بين أهل العلم وهو كتاب سيرة ابن قيصر نسبة إلى مؤلفه الفقيه والمؤرخ والشاعر عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان الصحاري (ق ١١هـ) والذي يمتاز بكونه مؤرخاً لأحداث عاصرها، ووقائع ناصرها، ووثق تأريخها مباشرة بنثره النضيد، وبشعره السديد.

والجدير بالذكر أن ابن قيصر عاصر قيام دولة اليعاربة، وقد قام بتأليف هذا الكتاب بطلب من محمد بن سيف الوالي الأدمي، وناصر بن ثاني الرحيلي الصحاري وهما من ولاة ناصر بن مرشد اليعربي، كما أن له أرجوزة في الجراحات وقياسات الجروح نظمها ملخصة من كتاب مختصر البسيوي ولا يزال مخطوطاً. وقد طبع كتاب سيرة الإمام ناصر بن مرشد أولاً في سنة ١٩٧٧م بتحقيق الفاضل عبدالمجيد حسيب القيسي، ثم أعيد طباعته مرة أخرى عام ١٩٨٣م وكلاهما طبعة وزارة التراث والثقافة، ثم طبع مرة ثالثة عام ٢٠٠٢م بدار الحكمة بلندن بالتحقيق ذاته ولكن بصف وإخراج جديد.

وقد اعتمد المحقق على نسخة مخطوطة موجودة في بريطانيا إلا أن الذي يظهر أنها نسخة مليئة بالتصحيف، فلذا جاء التحقيق مليئاً بالملاحظات رغم أن محققه بذل فيه جهداً مشكوراً. فلذا قمت بإعادة مراجعة وتنقيح التحقيق بتحرير الكتاب مقارناً بنسختين مخطوطتين بوزارة التراث والثقافة وهما:

١ ـ المخطوطة (١٨٥٦) وناسخه علي بن عمر بن سعيد الخماسي الصوري سنة ١٢٥١هـ، وكان عليه الاعتماد الأكبر في مراجعتي للكتاب .





٢ ـ المخطوطة (١٨٦٣) ونسخه علي بن عمر بن محمد بن عبدالهادي بن عبدالسلام البصري سنة ١١٨٨هـ .

والملاحظ بعد المقارنة أن نسخة التحقيق مليئ بأخطاء كبيرة وكثيرة تُحيل المعنى والفائدة، يطول سردها في هذا المقام، فقمتُ بإصحاحها وتعديلها وخاصة في أسماء المناطق العُمانية.

كما أن من الملاحظ نقصان المطبوع من قصائد كثيرة مثبتة في النسخ المخطوطة، ويصل النقص إلى مقدار (٢١) صفحة من المخطوطة. بالإضافة إلى سقط أسطر وأبيات، ونسبة عجز بعض الأبيات إلى صدر مختلف وهكذا.

فهذا الذي قمنا به جهد المقل، ونرجو الله تعالى أن يتقبل، ونتمنى من القارئ الكريم أن يتلذذ بهذا المورد عذب المنهل.

ونود الإفادة من المراجع التالية المتضمنة لترجمة المؤلف ابن قيصر، والمؤلف عنه الإمام ناصر بن مرشد رحمهما الله تعالى:

١ـ إتحاف الأعيان، سيف بن حمود البطاشي.
٢ـ دليل أعلام عُمان، جامعة السلطان قابوس ١٩٩١م
٣ ـ الموسوعة العُمانية، وزارة التراث والثقافة ٢٠١٣م .
٤ ـ معجم شعراء الإباضية، فهد السعدي، ص٢٤٨ ، ٢٠٠٧م.
٥ ـ معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، فهد السعدي، (٢ / ٢٦٥)، ٢٠٠٧م .

د. إبراهيم بن حسن البلوشي





مقدمـــة
بقلم عبد المجيد القيسي

أخذنا على عاتقنا أن نعنى بالتعريف بمنطقة الخليج بلاداً أو شعوباً ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، وذلك بالكشف عن المكنون من تاريخها والجلاء عن المجهول من تراثها ، ودراسة تطور هذه البلدان والشعوب وطرق نهوضها وأساليب تطورها ودورها الحاضر في تكوين الأحداث وفي التأثير عليها أو التأثر بها ، وأخيراً في النظر إلى إمكانيات مستقبلها وطاقات غدها.

وقد بدأنا سابقاً بتحقيق كتاب « تاريخ عُمان » المقتبس من كتاب « كشف الغمة». ويسرنا أن ننشر اليوم هذه السيرة العطرة لأحد أشهر أبطال عُمان وقادتها وهو (الإمام ناصر بن مرشد اليعربي) مؤسس دولة اليعاربة التي ترك مؤسسوها الأوائل بمآثرهم وأمجادهم آثاراً سامقة زاهرة في سجل التاريخ العماني الحديث.

وإذا كان كتاب «كشف الغمة» من أشهر كتب التاريخ في عمان وأكثرها ذيوع صيت ، وأكملها شمولاً وعرضاً للأحداث ، فإن هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم هو أقدم مصادر التاريخ العماني وأكثرها وضوحاً ، فهو أقدم المصادر عهداً لأنه ألف في بداية القرن الحادي عشر للهجرة أو منتصف القرن السابع عشر للميلاد ، وقد كتب بخط جميل واضح سهل القراءة ، كما اهتم المؤلف بإثبات إسمه في كل صفحة تقريباً من صفحات الكتاب وإن لم يكن يزدنا هذا معرفة بشخص المؤلف وسيرت فما زلنا لانعرف شيئاً عنه قط ، والكتاب بعد هذا صغير الحجم يقع مخطوطه في نحو خمسين ورقة من الحجم المتوسط ، وقد اختصه المؤلف بسيرة الإمام ناصر بن مرشد وتاريخ حياته – ولولاه لضاع تاريخ هذه الفترة.



ولا نعرف لهذا المخطوط خارج عُمان على الأقل إلا نسخة واحدة هي النسخة



في المتحف البريطاني ، وعن هذه النسخة حققنا هذا النص.
كما اطلعت على نسخة أخرى لهذا المخطوط في خزانة وزارة التراث والثقافة في سلطنة عُمان.
جاء ولا شك عندنا في أن مؤلف هذا الكتاب "ابن قيصر" قد وضع كتابه هذا وأتم تأليفه في حياة المترجم له الإمام ناصر بن مرشد ، والأدلة على ذلك كثيرة في ثنايا الكتاب ، وهي أشعار المؤلف التي بها يمدح الإمام أو يهنوءه على انتصاراته أو يعزيه بمقتل أخيه أو بعض أصحابه في المعارك والحروب ، يدعو الله له بطول العمر ودوام الانتصار ، ومن ذلك مثلا ، قوله :

لقد نصر الله المهيمن ذو الجلال   إمام المسلمين على الضلال

إلى أن يقول.

فتلك خلال مجد قد حواها   إمام خص حقاً بالكمال
فدين الحق أضحى في سرور   ودين الشرك أمسى في زوال
فلا زالت لياليه سعوداً   معززة على طول الليالي

ويختم المؤلف كتابه بقصيدة في مدح الإمام يقول فيها :

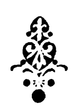
إمام الورى قم في الطغاة مجاهداً   فإنك منصور السرايا على العدى
فلا زلت للإسلام شمساً منيراً   ولا زلت للظلام حتفاً مؤكداً

ومنها :

ولكننا نرجو من الله رحمة   ونصرة مولانا الإمام ابن مرشدا
أمد له الرحمن في طول عمره   وأسكنه بحبوح جنته غدا
سألناك ياذا الطول والحول والبقا   دواماً له في مدة الدهر سرمدا
فلا زال للإسلام كهفاً وموئلا   ولازال حتفاً للذي جار واعتدى

فعش سيدي في العز والنصر والعلا...

وهذه كلها دلالات تفيد " المعاصرة " بين المؤلف والمؤلف عنه وهي دلالة لها





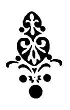
أهميتها التاريخية التي سنتطرق إليها بعد حين. وأكثر من هذا دلالة في هذا الخصوص أن المؤلف نفسه قد حدد بالضبط تاريخ الإنتهاء من وضع كتابه. إذ قال :

أتممت هذه السيرة الرضية ... بعون الله باري البرية
يوم الثلاثاء عند وقت العصر ... إذ كان وقت ختمها والحصر
واثنين والعشرين من محرم ... ذي الفضل والآلاء والتكرم
في أول الخمسين بعد الألف ... على صحيح القوم غير خلف

فالكاتب إذن قد أتم تأليف كتابه عصر الثلاثاء في اليوم الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام عام ١٠٥٠ هـ الموفق اليوم الخامس عشر من شهر مايو عام ١٦٤٠ م ، وهو بالتالي قد أتم وضعه في حياة المترجم له الإمام ناصر بن مرشد الذي توفاه الله - كما يقول المؤلف نفسه - عام ١٠٥٠ هـ /١٦٤٩م ، فالإمام ناصر إذن قد ظل على قيد الحياة وعلى دست الإمامة تسع سنين أخرى بعد تاريخ الانتهاء من وضع هذا الكتاب ، وفي الغالب فإن المؤلف ظل قيد الحياة إلى مابعد وفاة الإمام ، والدليل الشاهد على ذلك أننا نجد في آخر المخطوط ثلاثة أبيات من الشعر تؤرخ وفاة الإمام ناصر وهي :

وفي الجمعة الزهراء مات إبن مرشد ... وعشر ليال من ربيع المؤخر
وتسع وألف بعد خمسين حجة ... لهجرة من يعلو على كل مفخر
عليه صلاة الله لاح بارق.....إلخ

ولا ندري على وجه التأكيد إن كانت هذه النسخة التي بين أيدينا قد كتبها المؤلف نفسه أم نسخها غيره عنه ، وإن كنا نرجح الرأى الأول. ومع هذا فلو كانت هذه الأبيات لغير المؤلف لذكر الناظم اسمه وافتخر بها كما هي عادة القدامى حين يعلقون على الكتب والمخطوطات ، وإن كانت الأبيات



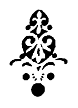


للمؤلف نفسه فالأمر اللافت للنظر أن يقف ابن قيصر في تدوين تاريخه عند العام ١٠٥٠ هـ ولا يتجاوز ويسكت عن تاريخ تسع سنوات من تاريخ الإمام لم تستثر أحداثها قريحة مؤرخنا المعجب بالإمام غاية الإعجاب ، ولم تهزه وقائعها وحروبها إلى تكملة تاريخه.

ومما يؤخذ على كتاب ابن قيصر أنه لم يتطرق إلا لماماً إلى ذكر حروب الإمام ناصر ضد البرتغاليين وهو في هذا يتبع سبيل كتب التاريخ العمانية التي لم تكن تعنى بالوقائع الداخلية ، ولعل لهذه السير سبباً خاصاً هو أن وقائع الإمام ضد البرتغاليين ، جرت في أخريات أيام حياته اي في الفترة التي أهمل ابن قيصر تدوينها ، ومهما يكن من أمر هذا الكتاب فإنه بعد المصدر الرئيسي لتاريخ حياة الإمام ناصر بن مرشد وعنه نقل المؤرخون المتأخرون بما فيهم صاحب كتاب " كشف الغمة " وعنه أخذوا . وبالتالي فهو أقدم ما لدينا من مصادر التاريخ العماني.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن مخطوط ابن قيصر قد وضع في المتحف البريطاني في مجلد واحد مع مخطوط آخر عن تاريخ عُمان مجهول المؤلف. وهذا المخطوط المجهول مؤلفه يؤرخ لعُمان منذ أول نزوح مالك بن فهم إليها حتى أيام حاكمها سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي أي إلى حوالي عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م ،وهو فيما عدا صفحات قليلة في آخره ينقل نقلاً حرفيا عن كتاب « كشف الغمه » ، ولربما كان هذا السبب ووجدوه بمجلد واحد مع مخطوط ابن قيصر قد دفع الباحثة الألمانية هـ. كلابن إلى اعتبار ابن قيصر نفسه هو مؤلف كتاب كشف الغمة ، في حين إن ماقدمناه من ثبوت المعاصرة بين الإمام ناصر وابن قيصر وأن أخيراً أتم وضع كتابه في يوم الثلاثاء وقت العصر من اليوم الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام عام ١٠٥٠ هـ ينفيان نفياً قاطعاً أن يكون ابن قيصر هو نفسه مؤلف كتاب كشف الغمة التي تمتد أحداث تاريخه إلى عام ١١٤٠ هـ أي بعد عهد الإمام ناصر بحوالي مائة عام.

وعدا عما تقدم فإن هذه السيرة تكتسب أهمية خاصة بسبب الدور الذي لعبه





المترجم له الإمام ناصر في تاريخ بلاده في أثناء حياته وللأثر الذي خلفه فيما بعد مماته.

فالإمام ناصر هو أول إمام من أسرة اليعاربة ، وقد اختارته الأمة لإمامتها وبايعته عليها (١٠٣٤ - ١٠٥٩ هـ) / (١٦٢٤ - ١٦٤٩ م) حين وجدته رجلها المنشود ، وقد استطاع الإمام بعد حروب طويلة وجهود مضنية أن يوحد البلاد تحت قيادته وأن يسير بها ليناوش البرتغاليين القابعين آنذاك في مواني البلاد وسواحلها ، فنال منهم الشي الكثير واستخلص منهم قلهات وصحار وحاصر ميناء مسقط ، ولكن الأجل المحتوم وافاه قبل أن يستطيع إجلاء المحتلين عن كل البلاد.

وبعد وفاته انتقلت الإمامة إلى ابن أخيه سلطان بن سيف اليعربي واستمرت من بعده في أبنائه وحفدته. وعلى هذا فيكون ظهور الإمام ناصر بداية عهد جديد في تاريخ عُمان ، فعدا عن كونه أول من وحد البلاد وأول من استطاع قيادتها لمنازلة البرتغاليين والنيل منهم ، فقد كان أيضاً أول إمام عماني جعل الإمامة ملكاً وراثياً في أهل بيته ، ولهذا كان المؤسس لدولة جديدة هي دولة اليعاربة ولسلالة حاكمة جديدة هي السلالة اليعربية التي حكمت البلاد زهاء قرن من الزمان حتى إنتقال حكم البلاد إلى الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسس دولة البوسعيدي في عمان منذ ذلك التاريخ ، أي في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وحتى يومنا هذا.

وقد تكفل كتاب "تاريخ عُمان" المقتبس من كتاب " كشف الغمة" بالكشف عن خلفيات التاريخ العماني قبل ظهور الإمام ناصر بن مرشد كما تكفل بالكشف عن الوقائع والأحداث التي انتهت بها إلى التفتت والإنهيار.

ولهذا فلا نريد أن نعيد ماذكر هناك وإنما نريد أن نذكر القارئ بذلك ونحيله إليه ، وأن نكتفي هنا بالإشارة إلى السمات البارزة التي تميز بها عهد دولة اليعاربة والتي تركت آثارها الزاهرة في عُمان. وأهم هذه السمات هي :

١ . توحيد البلاد تحت حكم مركزي قوي بعد أن تفرقت البلاد بين رؤساء شتى



متفرقين.

٢. تحرير البلاد من الإحتلال البرتغالي ومن ثم إنهاء الوجود البرتغالي في البلاد العربية كافة.

٣. تحرير جزر أفريقيا الشرقية من الاحتلال البرتغالي وانتظامها وعُمان تحت حكم اليعاربة في إمبراطورية عربية آسيوية أفريقية.

٤. القيام بإنشاء أول أسطول عربي تجاري وحربي لنشر الراية العمانية في المياه العالمية.

٥. عناية اليعاربة بنشر التجارة بين بلادهم وبلدان الخليج وبين العالم الخارجي.

٦. إهتمامهم بالزراعة وجلب المحاصيل الزراعية واستزراعها فيها.

٧. إنشاء الحصون والقلاع التاريخية الشهيرة _ في عُمان_ والتي تشهد بروعة فن العمارة في القرن السابع عشر الميلادي.

وقد بذلنا جهدنا أن يخلو الكتاب من المآخذ والأخطاء ولكن المرء مهما جد واجتهد فهو عرضة للخطأ والنسيان.

لذا فإننا نستميح القراء الكرام العذر مقدماً عما قد يجدون من هنات في هذا الكتاب.

ومن الله التوفيق والسداد

عبد المجيد القيسي

١٩٧٧/١/١



هذه سيرة الإمام العادل ناصر بن مرشد رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مما قاله المعتصم بالله المنان ، وعبده عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان في إمام الزمان الذي أظهره الله نوراً لأهل عُمان ، فأقام فيها العدل والإحسان :

اعلم رحمك الله أن هذا خير سيرة مولانا إمام المسلمين ، وسمامٍ المجرمين (١) ونور رب العالمين ، الذي قد أقامه الله بالحق والبيان وكان عاملاً بما نص به القرآن ومقتدياً بسنة رسول الله في السر والإعلان ، ومن نور الله بوجوده إقليم عُمان ، وجعله ركنا للدين والإيمان ، إمام المسلمين ناصر بن مرشد بن مالك ، المنسوب لنصر وزهران ، أيده الله بنصره وأنار به منازل أهل عصره ، وكان حافظاً من موبقات البلايا ، وحارساً له من مخترقات الرزايا ، وعاصماً له عن التبعات والخطايا ، وأيده بالعز والتمكين ، وأراح به الفقراء وكل مسكين ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة لمن دعاه جدير ، وهو حسبنا وإليه المصير.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي قدر إبرام الأمور بإرادته فقضاها ، ودبر تصاريف أزمتها بمشيئته فأمضاها ، وأنفذ سوابق أقضيته في خليقته فأجراها ، خلق السماء بغير واسطة، رفع سمكها فسواها ، وأدار مدار أفلاكها فتعالى أن يضاهى ، وأعذب فيها ترجيع تقدس أملاكها ، وزينها بالنجوم وحرسها بالرجوم عن الردة وحماها، وبسط الأرض على الماء فأقرها ودحاها ، وجعل لها الجبال أوتاداً فأرساها، وأسكنها الخليقة وبسط أرزاقها وأسبغ نعماها وقضى عليه في سابق علمه برشدها وعماها ، فسبحان من بيده تصاريف أقضية الأمور ومنتهاها ، أحمده على ماسربلنا به من النعم وأسداها وأشكره على خفيات ألطافه التي لا ننساها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الموجود إلهاً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المسمى يس و طه ، اللهم صل على محمد وآله ما سرت البسارق في السبارق وطاب سيراها وضاء مسراها.

أما بعد فقد سألاني و أمراني من أمتثل لأمرهما وداً ، ولا أبقي عنهما في الطوع والنصح جهداً ، أحدهما الشيخ محمد بن سيف الوالي ذو المجد والإجلال ، والشيخ الكامل ناصر بن ثاني بن جمعة بن هلال أن أشرع لهما في ابتداء سيرة الإمام ، وأشرع في تحصيلها موجزاً لألفاظ الكلام ، وأذكر فيها حصر سيرته المرضية على التمام ، فأجبتهما إلى ماطلبا وأحببت لما هما فيه رغباً وأطنبت في وصفها على حسب الغاية ، وهذبت اللفظ على توفيرها على النهاية ، ولست أنا من هذه الرتبة الباذخة ، ولا في العلم من أولى الدرجات الشامخة ، وذلك لقصر باعي عن ذوي العلوم والمعارف ، وقلة اختراعي في التطاول للقدماء الأشارف ، بل كنت مجيباً لهما في التأليف ، وملبياً لخدمتهما في التصنيف ، وكان ذلك على حسب الطاقة والتكليف ، فقلت وبالله التوفيق في كل حال ، وإليه المآب والمآل.

اعلما رحمكا الله وأمنكما قضاه ووفقكما لسلوك مناهج رشده ورضاه ، أنه لما





أراد الله بطلان أهل الضلال ، وخذلان أولي الزيغ وهو أن الجهال ، إذا واظبوا على معاطاة الخمور ، وتواثبوا إلى محرمات الأمور ، وتعاهدوا على سلوك سبل الغواية والفجور ، وجاهدوا على الأخذ في الملاهي وآلات الزمور ، وسلك أكثرهم مسالك الفساد ، وسفك أكثرهم مسالك الفساد ، وسفك معشرهم الدماء على العناد ، وانتشر الفسوق سائر البلاد ، وسلط كل سلطان منهم على المظالم ، وسقط مابينهم كل مرتقى عالم ، وخاض جمهورهم في بحور الغواية ، وسلك مسالك الضلالة والعماية ، وصاروا لم يقفوا من كتاب الله لوعظ آية إذا سمعوا آيات كتاب الله تزحزحوا وتفرقوا ، وإن شاهدوا نغمات الرباب فرحوا وصفقوا ، واختلف حينئذ ما أئتلف للقضاء رأي الرستاق ، ومالكهم مالك بن أبي العرب فلم يكن مابينهم إتفاق ، ووقع مابينهم القتل ، وقلع بعض قلاعه المنيعة ، فاستشاروا من علماء المسلمين أهل الإستقامة الشريفة ، من أهل الجبال ومن حباها أن ينصبوا لهم إماماً ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويكون لهم مقداماً ، فأمعنوا النظر وجالوا الفكر لمن يكون أهلاً لذلك ، فاجتمعت آراؤهم على عقد إمامة السيد ناصر بن مرشد ابن مالك ، فأتوا إليه جميعهم فطلبوه فأجابهم إلى ذلك ، فنصبوه وعقدوا عليه الإمامة في عام أربع وثلاثين سنة وألف سنة[1] باطلاعهم على حسن سجاياه وخصاله الحسنة ، ومسكنه قصرى من تلك الرستاق فطهرها من الدرن والدنس والنفاق ، وعضدوه رجال اليحمد بأنفسهم وأموالهم وأمدوه بذخائرهم وأخيارهم من رجالهم واجتمعت آراؤهم أن يهجموا بالجيش ، ليلا على حصن القلعة ، فلبس كل منهم لأمة حربه وعزم على الطلعة ، وكانوا فيها بنوعمه بعد مالك جده ، فاستفتحها ولاح في وجهه نور سعده ، وذلك من الله لحلول قدره السابق وحصول أمره الموافق ، وسيجعل الله بعد عسر يسراً. وقال المصنف شعراً :

لقد أيد الله ابن مرشد بالنصر ... ففاق بما أوتيه في آخر العصر
فـالله ماأوتي من العلم والتقى ... هناك على حسب الكفاية والحصر
به قد أزال الله عن ملة الهدى ... عظايم آثام تؤدي إلى الكفر



(١) يوافق عام ١٠٣٤هـ - العام ١٦٢٤م.



به أيد الدين الحنيفيِّ فاغتدى عفيفاً عن الأسواء والحوب والوزر
وفاق على الأديان طولاً وبهجة وقد محيت لما أتى ملة الكفر
كفينا به جور الأعادي وكيدها وما استلبت يوما من الناس بالقهر
هنيئاً لما أعطى وطوبى لما حبى قمينا بما أوتي من الخير والأجر
أقام بنا كالشمس في أفق العلا وفي حندس الديجور للناس كالبدر
به افتتح الرحمن قلعته التي برستاقه قهراً وقد فاز بالنصر
وطهرها من كل بغي ومنكر وقد كان فيها ذلك الفعل بالجهر
ونزهها بعد الفجور فأصبحت كيثرب في التنزيه والعدل والطهر
فلا بعُمان مثلها قط قلعة مشيدة البنيان من سالف الدهر
فياربنا أنعم علينا بوجهه لك الحمد يا معطي الجزيل مع الشكر
فما زال فينا فالهدى هو واضح ومن بعده لله عاقبة الأمر



خبر بلدة نخل المذكورة وماجرى فيها

قال الراوي لهذه الأوصاف والحاوي لها حصراً بائتلاف :
ثم توجه مولانا الإمام لقرية نخل لوقوع السبب ، وكان مالكها ابن عمه سلطان بن أبي العرب ، فحاصرها أياماً وافتتحها وقضى الأرب ، وكان أخذه لها من غير مشقة ولاتعب وكانت فرقة من أهل نخل زائلة عن الحق والصواب ، زائغة عن مناهج الرشد والثواب ، سالكة مسالك الغي والإرتياب ، فظاهرت عليه الأعداء فاعتدوا على واليه عليه فحصروه ، وأتاه الإمام واليحمد فنصروه ، وبدد الله به شمل أعدائه الفساق ، وأقبل مؤيداً منصوراً إلى الرستاق حين ماطهرها من الفسق والنفاق ، وذلك بعدما أقام بقرية نخل والياً من جنابه ، سالكاً مسالك الحق مع صوابه.
ثم قدمت عليه رسل من نزوى يدعونه إلى ملكها ، فأجابهم إلى ذلك ولم يعزم على تركها. فسار في قومه رجال اليحمد وأناخوا بشرجة صفر من سمر ، وأقام بها ليلة فلم يصدقوه فيما وعدوه ، وتمادوا في تركه ولم يوافوا بما عاهدوه ثم رجع مولانا الإمام إلى بلد الرستاق بعدما أخلفوه أولئك القوم على الإطلاق ، وأقام بها على العدل والإنصاف مدة من الزمان.
ثم توجه إليه الرويحي قاصداً وهو أحمد بن سليمان ورجال من بني رواحة وقوم من عصبة مانع بن سنان.



خبر افتتاح بلدة نزوى وماجرى فيها بعد ذلك من الأمور

قال الراوي لهذه السيرة ذكراً، والحاوي لها ضبطاً وحصراً :
ثم أقام معه أولئك يدعونه إلى ملك سمائل ، ووادي بني رواحة لاعتدال كل مذهب مائل ، فسار الإمام ورجال اليحمد إلى مادعوا إليه ، حتى جاوز حدس على ماعاهدوه عليه ، ونزل وادي بني رواحة بجمهور الشجعان ، وترك بعض قومه عند الأمير مانع بن سنان. واتفق رأي الإمام والأمير أن يتوجها بالجيش إلى نزوى ، وسار معهم القاضي خميس بن سعيد ذو التقوى والفتوى ، والمتمسك بسبب الله الأقوى ، ونصرته عصبة من أهل إزكي ، وسارت معه إلى نزوى فالتقوه أهلها بالكرامة على مايحب ويهوى ، فدخلها الإمام وكان منها محلة العقر المشهور ، فأقام فيها بالعدل والإنصاف بعض الشهور ، وكانت فرقة منهم تدعى ببني بو سعيد ، وهم رؤساء العقر وأولوا البأس الشديد ، فتسفهت أحلامهم ومن شايعهم من أهل سوق نزوى ، واجتمعت آراؤهم أن يدخلوا على الإمام بجيشهم الأقوى ، وكان ذلك يوم الجمعة الزهراء عند ظهور النهار جهراً ، فائتمروا فيما بينهم بالسعي إلى الصلاة ، وتأهب كل منهم بطاعة مولاه ، فأتى الإمام من كان له محباً ومواداً ، فأخبروه بما أعدت له واعتمدت عليه الأعداء ، فتحقق خبرهم عند مولانا الإمام فأمر بإخراجهم من مكانهم بالتمام ، ونهى عن قتلهم بل ينفوا من سائر البلاد ، فخرج من بغى على الإمام بالكره والذل والإنقياد ، وكان قد نصر الإمام رجال من سارة الحوائر من عقر نزوى ، وشاهد منهم النصيحة لحلول الدوائر ، فتفرقت الفئة الباغية على الإمام في البلدان ، وولوا هاربين في الذل والخذلان ، والتجأ جمهورهم في أصح الروايات والدلائل إلى مانع بن سنان في قرية سمائل. وكان مانع بن سنان قد عاهد وحلف له على اتباع الحق ، ثم نقض العهد ورفض الجهد ، وترك ماجل من الحق ودق ، ففرقة التجأت إلى الهناوي في بهلا ؛ وآزرته على حرب مولانا الإمام جهلاً ، واستقام الحرب مابين الإمام والهناوي ، فأمر الإمام بتأسيس

حصن نزوى على أصح الفتوى ، وكان قدماً بناه الصلت بن مالك ؛ ليذل به أرباب المناصب والممالك ، واستعان على وضع قواعده بالصمد المالك ، فأجاد الإمام شامخ بنيانه ، وأشاد للإسلام باذخ أركانه ، وثبت به قوى قواعده وأسمت عنوانه واستقر فيه مع من اصطفاه من جملة إخوانه ،لازال مؤيداً منصوراً وما برح ضده ببأسه منكداً مقهوراً.



خبر افتتاح بلدة منح ومن حال
عن حال الصلاح وإلى الغي جنح :
أخذها من غير حرب ورجع عنها إلى سمد الشأن

قال الراوي لهذه الأخبار الرائعة والمقالات الفائقة :
(إن) أهل منح أقبلوا إليه يدعونه إلى إصلاح أحوالهم ، وظاهروه برجالهم وجملة أموالهم ، فتوجهها نصرة الله تعالى فافتتحها ، وأظهر العدل فيها فأصلحها ، وذلك من غير مشقة ولا نصب ، ولا لغب كان ولا وصب ، ثم رجع منها منصوراً لنزوى من غير مشقة يأمر فيها بالعدل والإنصاف ، ويسلك فيها مسالك التقوى والعفاف.





خبر افتتاح سمد الشأن

قال الراوي لها خبراً ، والحاوي لأحوالها أثراً :
ثم أتوا للإمام أهل سمد الشأن على التوالي ، وهي يومئذ في ملك علي بن قطن الهلالي ، فوجه مولانا الإمام لها جيشاً عرمرماً مؤيداً منصوراً معصوماً برب السماء ، يقدمهم الشيخ العالم مسعود بن رمضان ، فافتتحها من غير مشقة ولا تعب بإذن الرحمن ، ثم أتوه أهل إبرا وكان مالكهم محمد بن جفير بن جبر فافتتحها بعون الله تعالى والصبر حتى دانت له سائر الشرقية ، ودانت له خاضعة فلم يبق منهم بقية ، ما خلا هنالك بلدة صور وقرية قريات لأنهما بيد النصارى وعن الدور قصيات.



خبر افتتاح بلدة بهلا

قال الراوي لهذه السيرة والحاضر لأسبابها الشهيرة :
ثم إن الإمام جهز جيشاً وسار على الهناوي حتى وصل إلى مكان يسمى قاع المرخ .
يقول الراوي :
وخاف البعض من جيشه للحديث الذي يروى، فرأى الرجوع خيراً له خوف افتراق الكلمة في نزوى.
قال الراوي :
ثم لم يزل الإمام يجمع الجيوش والجحافل ويدعوا بأولى الأندية وأرباب المحافل ، وينتخب الرجال من أعالي البلد و الأسافل ، حتى اجتمع لديه الجمع الكثير والجم الغفير ، فسار بالجموع قاصداً للظاهرة ، وافتتح بها وادي أفدى بقدرة الله القاهرة ، وأمر على الفور ببناء حصنها وذلك لامتناعها وحفظها وصونها ، ونصروه من قرية ضنك أهل العلاية ووازروه على حسب الطاقة والغاية ، فكان مقدامهم الشيخ خميس بن رويشد ورجال الغيالين ، واستقام أمره على رغم القالين ، فحمد الله سراً وجهراً وقال في ذلك المصنف شعراً :

لقد نصر الله بن مرشد ناصراً ... وأيده حقاً فأصبح شاكراً
وما زال في آصاله وبكوره ... وفي سائر الأوقات لله ذاكراً
هنيئاً بما أعطى جديراً بما حبى ... حرياً بما أوتي وطاب مآثراً
فما زالت الأيام تجري بسعده ... وما زال في الإسلام لله بالحق آمراً
ومن يتق الرحمن ينصر جيوشه ... ومهما توجه للعدى كان ظافراً
لقد شرف الله الملا بوجوده ... كفى جمع ماأحيا الإله منابراً
به عصرنا الزاكي تطاول مفخراً ... وعزاً وطولاً ثم فاق الأعاصرا
به افتتحت بهلا لدى منح معاً ... وكان إلهي لابن مرشد ناصرا



ومن بعدها إبـرا وأقبل قاصداً بوادي ضنك بالجحافل حاصرا
وقـدام أفـدى بالجنود فسلمت لطاعته قـهـراً ونـال مفاخرا
ومقدامهم يوم الوغى ابن رويشد خميس حوى اسم الجيش إذ ذاك عامرا

قال الراوي :

ثم خرج الإمام يطوف بمملكته من عُمان حتى وصل منها إلى سمد الشأن ، فرجع مقبلاً ومعه بنو ريام ومن كان عنده حاضراً من خدام الإمام ، ودخل حينئذ الرستاق منصوراً ، مؤيداً بنعمة الله مجبوراً.



خبر دخول بلدة منح

قال الراوي :

فأقبل جند محمد بن جفير لبلدة نخل متوجهاً إليها ، ودخلها قسراً وقد احتوى عليها ، وحاز أهلها جميعاً على التمام ماخلا حصن مولانا الإمام.

قال الراوي :

فنهض إليه مولانا الإمام من الرستاق بجيش عرمرم لايستطاق ، ونصروه المعاول على الإطلاق ، وجاهد في الله حق جهاده بإستحقاق ، وبذل مولانا فيها حيلة ، ومالوا عليهم فيها كل ميلة ، فما لبث القوم فيها غير ليلتين أو ليلة ، وأخرجوا منها البغاة هاربين ، وكان أحزاب مولانا الإمام من الغالبين ، ثم رجع الإمام منصوراً لبلدة الرستاق ، وأقام بها أياماً كما روي باتفاق.



خبر سيرة خميس بن رويشد على الظاهرة

قال الراوي لهذه الحالات العجيبة والمقالات الغريبة :

ثم أقبل عليه الشيخ خميس بن رويشد يستظهره على الظاهرة ، فجهز الإمام جيشاً وسار بنفسه وكان الله حافظه وناصره حتى نزل حفظه الله بالصخبري من بلاد السر الفاخرة ، ونصروه أهلها ورجال الضحاحكة بالمال والرجال ، وسار منها قاصداً حصن الغبي وفيها جمهور آل هلال ، وعندهم أقوام من بدو وحضر في تلك الأيام ، فحاربهم على الفور مولانا الإمام ، ودارت رحى المنون مابين الأقوام ، وسعرت مابينهم نار الحروب وأشتد لها الضرام ، وامتد قسطل الماقط وأسود القتام ، وقتل جاعد وهو أخ الإمام بعدما جاهد في سبيل الله بالحسام ، وشهد له الجمع بالكفاح والصدام ، حتى عاين الضد منه شيئاً إمراً، وقال في ذلك شعراً :

لقد خاب ذو ظلم وقد طاب عابد ... وقد دان ذو بغي وقد لان جاحد

وقد ظهر الحق المبين وأسفرت ... كواكب سعد الدين والله عاضد

إذا ما اجتبى الرحمن عبداً أماته ... على فطرة الإسلام وهو يجاهد

إمـام الـورى لا تبتئس بحمامه ... هنيئاً لـه في الحشر مما يشاهد

إمـام الـورى في قتله نعم مغنم ... إذا بـرزت للفائزين الفوائد

فطوبى له بالحور والنور والبها ... إذا عـدت للطائعين المحامد

فمن قصده الرضوان والفوز في غد ... يجر منهجاً فيه توجه جاعد

فيارب جد والطف علينا برحمة ... وبوئه في الفردوس إنك واحد

وكن عند إيحاش الخليقة مؤنساً ... لـه إنـك المعطي الجـزيـل ورافـد

عليه من الرحمن واسع رحمة ... وعـفـواً لـه مـا قـام لله عـابـد

جزاؤك خيراً في المال مع الرضا ... وحسب امرئ يدعوك إنك واحد

لـه قـد أعـد الله في الخلد منزلاً ... به الحـور والـولـدان ثم الولائد





قد اختار مولانا الجنان له غدا ... بحسن جهاد والمهيمن شاهد
فلا زال مولانا الإمام مؤيداً ... له الله في كل الأمور مساعد
به أيد الحق المبين ونورت ... لنا جمع مبرورة ومساجد
ووافاه من ضنك خميس بن راشد ... إلى الحق يدعوه إلى مايكايد
وقد جاءه الضحاك بالجيش مقبلاً ... إلى صخبرى السر إذ لا يعاند
أجاب الدعاء فوراً وقام مشمراً ... وللعضب في هام العدا هو غامد
وأموا إلى الغبّي بالجيش جملة ... وفيها الهلاليون يوماً تجالد
وقد كان ماقد كان في سابق القضا ... من القتل حتى غيل بالقتل جاعد
تغشاه رب العرش منه برحمة ... وبوأه الرحمن والله واحد

خبر سيرة مولانا الإمام على الغبّي

قال المشاهد لهذه الرواية ، والمعاهد لهذه الحكاية :
ثم إن مولانا توجه إلى عبري بعد قتل أخيه جاعد ، فافتتحها وأقام بها ليلتين وقصد الصخبري والله له مساعد ، وحصر الغبّي وأخذها في يوم واحد ، وجعل فيها والياً يدلها لكامل رشدها الوفي ، وهو يومئذ خميس بن رويشد المجرفي ، وأقام رجلاً من جنابه من أهل الرستاق وبقرية بات والي الإمام محمد بن سيف الحوقاني على الحق والثبات ، وأمرهما بفتح مابقي من قرى الظاهرة ، وذلك من فضل الله وحجته القاهرة ، فغزوهم عند ذلك آل هلال ، واجتابوا لهم الحزون والرمال ، وقطعوا في سيرهم كل الفجاج ، وكانوا بناحية ضنك.بموضع يقال له الأفلاج ، فالتقوهم ولاة الإمام في الدير ، ففضوا جميعاً ، وتفرقت العساكر إذ ذاك سريعاً ، واستولوا على الجميع مما ظهر وبطن ، وأخذوا ابل ابن جبر قطن بن قطن ، وذلك أنهم لينتصروا بها عليهم ويرجع أمر المسلمين إليهم ، فحاصروا ولاة الإمام حصن قطن المعترض ، وذلك مما قضى في الأزل وفرض ، فركب إبن جبر قطن قاصداً لمولانا الإمام فادياً إبله بتسليم حصنه والقرار على الدوام ، ففرح المسلمون بذلك أشد الفرح ، وباينهم الوصب والنصب والترح ، فأنعم الإمام برد إبل إبن جبر عليه وأولاه ، وسلم حينئذ إبن جبر الحصن للولاة فأقاموا به والياً ليدلهم على مناهج الصلاح ، ويسلك بهم سبل الرشاد والفلاح ، فاستقرت لذلك غاية القرار ، وأقام داعي الله فيها آناء الليل وأطراف النهار.



خبر سيرة مولانا الإمام على المقنيات

قال الراوي لهذا الاستفتاح ، والحاوي لما أنعم الله على العالم وأتاح : ثم توجه ولاة الإمام بجيشهم لحصن مقنيات المذكور ، وحاصروه وكان فيه وزير من جناب الجبور ، فوجهوا عليهم الجبور جيوشهم من عصب آل هلال من بدو وحضر وآل الريس من الجبال ، ومرادهم أن يهجموا عليهم في مقنيات بالتمام ، فتحقق الجبور أن لا طاقة لهم على الجيش الهمام ، فنهضوا ورجعوا إلى قرية بات ، وكانت في ملك الإمام أيده الله بالنصر والثبات ، فخاف الولاة على حصن بات لفقد الماء به وعليه الاعتماد ، فسار المسلمون من مقنيات ولم يشعر بهم الأضداد فدخلوا حصن بات ومنعوه من الجبور ، ووقع القتال مابينهم وعظائم الأمور ، فمالوا الجبور على حصن مقنيات مرة أخرى ، ولأن أكثر عسكر الإمام ببات لصحة الذكرى ، وهجموا ولاة الإمام على من بمقنيات لقلة قومها فاشتد ما بينهم القتل منذ صلاة الصبح إلى نصف يومها وقال في ذلك شعراً :

لقد ثرن القساطل للسماء ... كذا الغبراء تخضب بالدماء
ترى في حومة الهيجاء أروٌساً ... لعمرك قد تطاير في الهواء
وذلك في سبيل الله حقا ... لتحقيق اليقين على الوفاء
مرادهم بذلك جنان خلد ... مزخرفة مشيدة البناء
وحور ناعمات في قصور ... أعدت للمجاهد بالصفاء
بها الأنهار من لبن وخمرٍ ... ومنٍ عسل مصفى عند ماء
أعد الرضا لهم نعيماً ... مقيماً ليس يذهب بانقضاء
ففي بات لقد وقعت حروب ... وقتل ليس يحصر بانتهاء
لقد ولع القنا بنفوس قوم ... بها قعدت بذلك كالهباء
كذلك في مقنيات نزال ... وزلزال وأنواع البلاء
ثمانية لقد دفنو بقبر ... فيا لهفاه من حتم القضاء



قال الراوي لهذه الأحوال المرضية والأقوال المضية :
وكان قد شق ذلك على المسلمين ، فخرجوا من البلد غير مطمئنين ، وكان قد قتل من البغاة خلق كثير لايحصون عدداً ، وذلك لصحة الآثار وما جاءنا من الحديث مسنداً ، حتى قيل إنهم عجزوا عن دفنهم في القبور ، ماخلا السبعة والثمانية في قبر لمشقة الأمور ، وأيد الله المسلمين بنصره ، وثبت كلا منهم لإخلاصه وجميل صبره ، فلله درهم على حلول الشدائد ، وما شاهدوه من أليم الضر وعظيم المكائد ، وقال المصنف في ذلك شعراً :

إلى الله أقواما تواصوا إلى الصبر ... وماشاهدوه في الجهاد من الضر
إذا شمروا للحرب يوماً تخالهم ... ليوث الشرى لم يثنها قط من ذعر
لقد بذلوا أرواحهم لإلههم ... ليجزيهم خير الجزاء مع الوفر
وقد قتلوا أعداءهم شر قتلة ... بماقط حرب مايحل عن الحصر
كما قيل يوماً إن سبعة أنفس ... لشدة ضيق الأمر تدفن في قبر
وقد جاهدوا في الله حق جهاده ... فطوبى لهم حازوا الرضا مع الفخر
رأوا ما أعد الله خيراً من التقى ... بدار الفنى فاستشهدوا طلب الأجر
فبعض جزاء الله للعبد جنة ... وحور وأنهار من الماء والخمر
ويكفيك قول الله في نص آية ... من الخير للعبد المطيع مدى العمر
بما تشتهي نفس وتلتذ أعين ... كما طهرت من جملة الحوب والوزر
فلله أقواماً تجافت جنوبهم ... مضاجعهم في طاعة الخالق البر
حباهم وأعطاهم بما أملوا له ... فأثنوا على الرحمن بالحمد والشكر
فطوبى لهم فازوا برضوان ربهم ... وحسن جزا الباقي على مدى الدهر
عليهم من الرحمن واسع رحمة ... كما طيبوا الأعمال في السر والجهر



خبر افتتاح بلدة بهلا

قال الراوي لهذا الخبر الشريف والحاوي لهذا الأثر المنيف :
فلما بلغ خبر أولئك الأقوام مولانا الإمام المظفر ، فما لبث أن قام في ذات الله وشمر ، ودعا من شوكته بكل غضنفر ؛ فصارت الرجال بأنديته تتزاحم ، والأبطال بشريف ساحته تتراكم ، فأم الإمام بالجيوش للهناوي ببهلا ، واستعان على ذلك العزم بالملك الأعلى ، حتى ملأت العساكر وعراً وسهلاً ، ثم دخلها بالجحافل ليلة من الليالي ، ودارت بها جميع صناديد الرجال ، وشمرت عن سواعدها جحاجحة الأبطال ، وكان الدخول فيها ليلة عيد الحج الحرام ، فحصرها الإمام شهرين إلا ثلاثة أيام ، بعد مااشتد مابينهم النزال والصدام ، ثم أقبلت جيوش الجبور لنصرة الهناوي ، فالتقتها جحافل الإمام كما رواه الراوي ، فتصادمت الأبطال بالأبطال ، وامتد قسطل الماقط فاستطال ، حتى كفر بفرعه آفاق الخضراء وعفر علق الأقوام سمالق الغبراء ، وقتل شجاع من جيوش الجبور ، وهو الدهمشي قاسم بن مذكور ، وكذلك كل مقدام للصداع مشهور ، فرجعت عنه الجبور ، وبقى من معه محصورين ، واستبشرت فئة الإمام إذ لايزالون منصورين ، فاستبد الهناوي برأي من معه من المقربين ، بعد ما آيس من الناصر والمعين ، في أن يقاتل مااستطاع على الدوام ، أو أن يسلم الحصن لمولانا الإمام ، فاتفقت آراؤهم أن يسلموا الحصن للإمام المنصور ، حين انقطع عنهم الناصر وسارت عنه الجبور ، فسلم الحصن وخرج منه برجاله وجميع آلة حربه وماله ، وبقي الحصن بعد القوم خالياً ، فأخذه الإمام وجعل فيه من جنابه والياً ، ثم رجع الإمام إلى نزوى مقره حامداً مولاه على ما أولاه من خالص بره، شاكراً إذ كفاه ألم ضده ودفع ضره ، ما زال منصوراً ما بقيت الجوزاء والشعراء وقال المصنف شعراً :



إمـام له التأييد من ربـه الأعلى　فساد الملأ وعراً كما سادها سهلاً

وعمت به الخـيرات في كل بلدة　وقد ملئت من حسن سيرته فضلاً

فما أحسن الدنيا وأنـورهـا به　وأكملها فعلاً وأجملها عدلاً

بـه افـتـتـح الله الـبـلاد جميعها　إذا أمها بالجيش قالت له أهلا

من الصير إن عددت ملك إمامنا　إلى صور مع نزوى الشريفة بل بهلا

لقد عظمت بالبلد واشتد فتحها　وقد كثرت فيها من الأمم القتلا

وكـاد إمـام الحـق يـرجـع دونها　لشده أهلها وصيصها الأعلى

فلم يغنها الحصن المشيد عن القضاء　فـذلـت لـه لمـا رأتـه بـهـا أولى

وقد قام داعـي الحق فيها مبادرا　يـدمـر آثـامـاً ويمـحـو بها جهلا

فلا زالـت الأيـام تجـري بسعده　ولا فضل الدهر الغشوم له حبلا

وقـد حصرت شهرين إلا ثلاثة　لأيـامـهـا تـروي لدينا وقـد تتلا

ومـن بعد طغيان وبغي ومنكر　إذن قد سمت فرعا كما قد رست أصلا

فـدام إمـام العدل والنصر مقبل　وكـل معاديه لظى حربه تصلا



خبر سيرة الإمام على سمائل

قال الراوي لهذه الخطابات المسطرة والروايات المحبرة :
ثم إن الإمام ترك مانع بحصنه وتوجه بجيشه العظيم عازماً نصره الله على بناء حصن سمائل القديم ، فأتاه وأسس قواعده وأقر حينئذ هنالك أوابده ، وأعلى بناه فأشاده ، وأطال فناه فأجاده ، ثم جعل فيه والياً من جنابه ، عاملاً بما أنزل الله في كتابه ، ثم رجع الإمام إلى نزوى فيما يسند إلينا من الحديث ويروى ، وجهز جيشاً إلى مقنيات وعزم عليها فخرج الجيش من نزوى متوجهاً إليها ، ثم أشتدت مابينهم الوقائع واشمأزت القلوب من أليم الفجائع فما لبثوا في حصنهم إلا دون ثلاثة أشهر في التقدير ، وافتتح الإمام الحصن بإذن الله والله على كل شي قدير ، ثم جعل الإمام فيها والياً على الإطلاق ، وهو محمد بن علي بن محمد من أهل الرستاق.

قال الراوي لهذه السيرة الفائقة والطريقة الرائعة :
فلم يزل سعيد المشهور بالخيال ، وجماعته ومن تابعه من الرجال ، كامنين البغض للإمام ، ناكثين العهود والذمام ، مكاتبين الجبور على الدوام ، حتى أدخلوا الجبور قرية الصخبرى في بعض الأيام ، وقتلوا رجلاً من الضحاحكة ومن قضى الله عليه من شراة الإمام وغيرهم إذ لايحصى عددهم إلا ذو الجلال ، حتى حصل جيش مولانا الإمام في الحال ، ثم وقع مابينهم القتال والنزال ، وأمور معضلات هائلات لا تزال ، ووقعت بالصخبرى وقائع كثيرة ، وأمور معضلات عسيرة ، منها وقعة بمكان يسمى بالعجيفة ، وهي وقعة شديدة مخيفة ، ومنها وقعة بمحلة تدعى بالغابة ، إذ بها من القوم كل يكابد مصابه ، ومنها وقعة بمكان يسمى بالمطهرة ، مازالت بها نار الحروب مسعرة ، ومنها وقعة بمكان يسمى بالزبادة إذ بها كل استلأم بلأمة حربه وتسنم جياده ، وهي وقائع شديدة وفجائع مكيدة ، حتى كاد ركن الإسلام فيها أن يتضعضع ، ويذعن من

حولها كل سميدع ويخضع ، وكثير من القوم من أدبر عن والي الإمام ، وما بقى معه إلا قليل من الأقوام وهو في حومة العدو محيطة به الأضداد مشتملة عليه جميع أولوا العتو والعناد ، وقد كان عزمه أن يوهى من الخوف والوجل ، ولم يزل معتصماً بالله عز وجل ، فبقي محصوراً بحصن الغبّي من السر صابراً على مايعانيه الألم والضر ، والوالي بها إذ ذاك وهو محمد بن سيف ، المطهر من الدنس والدرن والحيف ، حتى أذن الله تعالى بلطفه المكين ، وأيد بنصره كافة المسلمين ، وكان السبب الداعي لذلك تحقيق الخير عند والي الإمام وهو محمد بن سيف على ذوي السطوة التي لاترام ، فجيش الجيوش ووجهها لقصد أخيه ناصراً له ومفرجاً عنه مما هو فيه ، ودخل البلد من غير علم من الأضداد وجاهد في ذات الله أشد الجهاد ، وفرق الجموع في سائر البلاد ، فمنهم من التجأ إلى الصخبري فخاف ، فخرج منها هارباً يقطع القفاف ، ومنهم من ينقل نقلاً بلا إختلاف ، وهي في ملك ناصر بن قطن بن جبر ، وأيد الله المسلمين بالثبات والنصر ، فحازوا بها على الناس فضلاً وفخراً ، وفازوا بما فعلوه دنيا وأخرى ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً وقال المؤلف في ذلك شعراً :

لقد زال العنا ثم السقام	وقد لاح الهدى ونفي الظلام
وولت جملة الأحزان عنا	عشية مالنا ظهر الإمام
به قد أيد الإسلام حقاً	على الأديان واندرس الحرام
إمام الدين أنت لنا سراج	يضئ الناس والبدر التمام
بدولته لقد ذهبت الهموم	نكابدها وقد طاب المنام
ومن عجبي إذا مافهت يوماً	بمدح فيه ساعدني الكلام
لقد ملكت مودته جسوماً	وأفئدة لنا ثم العظام
ومن نعم الإله على البرايا	دوام إمامنا وهو المرام
به كفى الملأ شراً وضراً	وعوفي الدين وانجاب القتام
ألا يا أيها الباغي عتواً	تحاذره وتخشاه الأنام



ترفق فالهداية نعم فخرٍ	لمدخر وإلا فالحسام
فمن أعطاه رب العرش نصراً	وأيده لعمرك لا يضام
فطرق الحق أوضح كل طرقٍ	لسالكها وعباها السلام
فما زال الإمام لنا سراجاً	يضئ الناس ماسجع الحمام
ففي الغبّي قد حلت حروب	لها نار يشب لها ضرام
ففي الغبّي قد تلفت نفوس	عزيزات هنالك لا ترام
وفي الغبّي قد ثارت غبار	كان قيامها يوماً غمام
وفي الغبّي قد قدت رقاب	كان بهامها البدر التمام
بها الوالي يصالى بالعوالي	فلا يجفونه يلج المنام
محمد بن ذي التقوى عليٍ	يجاهد ليس يثنيه الحمام
حوى صبراً فحاز به فخاراً	له في جنة المأوى مقام

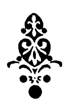
قال الراوي لهذه العبارة والحاكي لهذه الإشارة :

ثم إن الأمير مانع بن سنان كاتب سيف بن محمد الهناوي بالكتمان ، فنكثا العهد ونقضا الأيمان ، وجيشوا الجيوش يتزعمهم ملك عُمان ودخلوا نزوى وما خلوا أهلها من الخديعة والعصيان ، بل كان ذلك بينهما سراً بالكتمان ، وظاهروهم بعض القبائل منهما كما صح عندنا وبان ، فدخلوا نزوى واحتووا على العقر منها وحازوها جميعاً بحصول الدواه ، ومابقي للإمام إلا الحصن وما حوله ، ودارت رحى الحرب مابينهم أشد مدار وكادوا لكثرتهم أن يهدموا عليهم الجدار ، ثم وافت فوراً نصرة مولانا للإمام ، من إزكي وبهلا ومعهم بنو ريام ، وقد كان محمد بن صلت الإمام ناصحاً ، ولأعدائه في الشدايد مكافحاً ، وهو للصواب والحق جانحاً ، فدخلوا على الإمام فاستبشر لقدومهم غاية البشرى ، وحبى بهم من الله تعالى عزاً ونصراً ، فتفرقت بعون الله تعالى جيوش أعاديه ، وأهتز بالسرور والحبور شريف ناديه ، وقتل من قتل من ذروة الأضداد ، وتفرقوا عنه هاربين في سائر البلاد ، فحينئذ اشتد عزم الإمام ، وقوي سلطانه وقد قوي وهديت أركانه فاستشار الإمام أولي الرأي السديد الكامل بهدم حصن مانع



بن سنان من قرية سمائل ليسلم من شره وشر جميع القبايل فاستحسن الإمام منهم ذلك الرأي السديد ، واستبد به إذ هو الرأي الحميد ، فعلم الأمير مانع بن سنان بتجهيز جيش الإمام إليه ، وخشى هنالك من بأسه إذا أقدم عليه ، فانهزم حينئذ مانع بن سنان من حصنه إلى فنجا ، وظنها أنها ستكون له عن الإمام ملجأ ، فوجه الإمام الجيوش لهدم حصن مانع في الخبر الأوكد ، فمنذ تحقق قدوم الجيش إليه نزل من الحصن متوجهاً لمسكد ، ثم خرج منها قاصداً لبلد محمد بن جفير وهي لوى ، وتابعه في صحيح الفتوى ، وذلك إنه كان ليقضي الله أمراً ، وقال المصنف في ذلك شعراً :

بمولانا الإمام نطول فخراً ونعلو رتبة دنيا وأخرا
لقد من الإله به علينا فحمداً للإلاه معاً وشكرا
فيا رحمن ذره في نعيم معاً وامدده فوق العمر عمرا
فطوبى لامرئ خمساً يصلي على طول البقا ويصوم شهرا
وجاهد في سبيل الله حقاً وأخلص طائعاً سراً وجهرا
فلا زال الإمام لنا إماماً نلوذ بجاهه ونشد أزرا
فجد يا ربنا حقاً علينا به كرماً إذا وانصره نصراً
به الإسلام أضحى في سرور وأهل الشرك قد يصلون جمرا
ألا يا أيها الباغي علينا بسوء جهالة خذ منه حذرا
ولا تسلك طريق أولي المعاصي فتلزم في القصاص هناك قهرا
فهل من عصبة تحميك عنه ولو قطعت الأنضاء قفرا
إذا لم تخش عاقبة لفعل هلكت ولو هناك بسطت عذرا
أقام الهنا فيهم إماما على التقوى فصار العسر يسرا
لقد فاق السؤال في وفاء وإنصاف وعدل فاق كسرا
فعش في نعمة والسعد جار لنا من حادثات الدهر ذخرا
لقد دارت به الأعداء وكادت تهد علينا أسورة وجذرا
وقد فرح الطغاة بما اعتراه عشية ما أحتواه الضد قسرا





فـأيـده الإلـه مـعـاً بنصر　واسبل في الزحام عليه سترا
ووافـاه محمد بن صلت　بجيش لا نطيق إليـه حصرا
ومـن بهلا ومـن إزكـي توافت　جيوش تكسر الأعـداء كسرا
فـولـوا هـاربـين ومـا استطاعوا　معاً أن يظهروه فحاز فخرا

قال الراوي لهذه المقالة والحاكي لهذه الدلالة :

ثم إن الإمام وجه جيشه لنحو سيف الهناوي ، ووفقه الله تعالى لما هو ناوي ، وقد كان سيف بقرية يقال لها بلاد سيت ، وقد أشاد بها حصناً وإن سئل قال هو بيت ، وذلك بعد أن نزل من حصن بهلا فيما قدره وقضاه الملك الأعلى ، وكان أمير ذلك الجيش اللهام وعمدة القلمس القمقام الحبر النقي المؤيد ، والهزبر المذحج الممجد ، الشيخ عبدالله بن محمد ، فلما أن وصل عبدالله بالجنود إليه وتحقق الهناوي بنزوله عليه ، فلم يقع منه للقتال حركة ، بل خرج من الحصن هارباً وتركه ، فصالت عليه جنود الإمام ، وأمر الوالي بهدمه بالتمام.
ثم أتى الهناوي يطلب من الإمام الغفران ، فغفر له ولم يؤاخذه بالعصيان ، فرجعت جيوش الإمام من بلد سيت منصورة ، مؤيدة من الله مسرورة ، ودانت للإمام جميع القبائل من عُمان ، وفرح المسلمون عند ذلك بالسلامة والأمان ، فقلت شعراً وأنا الفقير لله المنان ، وعبده عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان :

هـنيئـاً بـالـسـلامة والأمـان　وبـالـسـعـد المنير من الزمان
لقد عـم الصلاح على البرايا　فما في الناس مظلوماً وعان
وذلـك في ذرى إزكـي إمـام　عـلى الـتـقـوى مقيم والبيان
إذا مـافـهـت في مـدحـي إليـه　تـداركـت الـقـرائـح بالمعاني
وإن فيه احتجزت اللوح يوماً　تسابقت الـقـوافي في لساني
ولم أسـطـع لـرسـم مـن كـلام　لـكـثرتـه يـجـود بـه جنـاني
لـقـد قـمـع الله الإلـه بـه المثاني　وآلات المـلاهـي والمـغـاني
وقـد نسخ الضلال وكـل بغي　بـنـص الآي والـسـبـع المـثـاني



وقد خضعت له الرؤسا جميعاً أولوا الرتب الرفيعة والمباني
وقد ذلت لسطوته طغاة وعم العدل في قاص وداني
وكل مجاهد في الله حقاً لديه سوف يحظى بالجنان
يبوؤه إله العرش يوماً مبوأ صدقه عند الأمان
أعد له الإله جنان خلد مزخرفة مع الحور الحسان
عليه من لدنا كل حين أجل تحية بل كل آن
وزينت للظنون لنحو سيف لإبلاغ المطالب بالعيان
بنى حصناً له ببلاد سيت ليملك بالظنون قرى عُمان
فلم يبلغ من الآمال شيئاً وذلك كان من سوءالأماني
أباد بناءه قدر قضاه إله الخلق في قاص وداني
يدبر أمره في كل شئ بحسب القصد ما لله ثاني

قال الراوي لهذه السير المزبرات ولهذه العبر المحبرات :
ثم عزم الإمام على جمع الجحافل ، من أعلى الأماكن والأسافل ، قد غصت به الأندية والمحافل ، وسار الإمام العادل العالم العامل بنفسه والشيخ خميس بن سعيد إذ هو من أبناء جنسه ، ونبراس ناديه المفضل ومقياس أنسه ، قاصدين بلدة ينقل إذ هي في ملك إبن جبر ناصر بن قطن ، وذلك مما ظهر من الروايات وما بطن ، فحصرها الإمام وافتتحها ، وجعل فيها والياً من لدنه فأصحلها ، ورجع منها مسروراً لقرية الرستاق ، مؤيداً منصوراً من الخلاق.

قال الراوي لهذه الأحوال المبتدعات والأقوال المخترعات :
ثم إن الإمام نصره الله جهز جمهور عسكره القوي ، وأمر فيه عبدالله بن محمد النزوي ، وقصد إلى بلاد الجو و معه شراة الإمام السالكين مسالك الرضوان في الأنام ، منهم خميس بن رويشد الضنكي المجرفي ، وحافظ بن جمعة الهنوي الوفي ، ومحمد بن علي الرستاقي الصفي ، ومحمد بن سيف الحوقاني اللوذعي ، فاستفتحها وأطاعوه جميع أهلها ، وأمر فيها محمد بن سيف لفسخ جهلها ليأمر





فيها الأمر المعروف وينهى عن المنكر ، وذلك لصحة مايروى لنا ويذكر ، وقال المصنف عبدالله بن خلفان بن قيصر شعراً :

هنيئاً بما نال الإمـام من الفضل ... ومن حسن أخلاق ومن كامل العقل

به قد هدينا من غياهبٍ جهلنا ... ومن سوء عقبانا إلى واضح السبل

إذا اشتغل الأقـوام يوماً بلهوهم ... فطاعة مـولاه له أحسن الشغل

به اندرست كل العمايات وانجلت ... عن الناس أصناف الغوايات والجهل

به قد هدينا من ضلال وباطل ... إلى منهج الرضوان مع صالح الفعل

فما طلعت شمس النهار على الملأ ... ولم يك في طوع لذي العرش مع شغل

بـه افتنتح الرحمن بلدة ينقلٍ ... وطهرها من كل رجس ومن غل

وأم له جيشاً إلى الجـو قاصداً ... وقد كان منصور السرايا على العدل

فحاز جميع الجو وانقادت الملأ ... لطاعته في الأمر والنهي في الكل

وولى ابن سيف الجو وهو محمد ... على البر والإحسان مع سائر الفضل



خبر افتتاح قرية لوى

قال الراوي لهذه السير الطرائف ، ولهذه القصص الشرائف.
قال الراوي لحصر هذه الأمثال وضبط هاته الأحوال والأقوال :
ثم ركب عبدالله بن محمد يقطع الجبال مع السوى ، متوجهاً إلى بالجنود إلى قرية لوى ، وذلك لاختلاف رأي الجبور بعضهم ببعض ، وقتل محمد بن جفير وحصول العداوة مابينهم والبغض ، حتى وصل إلى الفلج من قرية مجيس ، وبات مع جيشه في ذلك القاع النفيس ، ثم ركب منها متوجهاً لقرية لوى ، ونزل بجامعها لصحة رواية من روى ، وعلى جميع أهلها ونخلها احتوى ، ودارت الجيوش بحصنها حين مانزل ، واستقام الحرب فيما بينهم فلم يزل ، وكان مالكه سيف بن محمد بن جفير الهلالي ، وعنده من الجنود كل سميدع وغضنفر مصالي ، وأما إخوته ووزراؤهم التجأوا إلى صحار ، وهي حينئذ في ملك النصارى لصحبة الأخبار.
وكان مانع بن سنان في صحار عند النصارى والناس من وقع الحروب وقطع الدروب حيارى ، فما زالوا في صحار يغزون من لوى لجيش الإمام ، ولا يكفون أيدهم عن الخاص والعام ، لا سيما إذا عسعس ديجور الظلام ، ويمدون جماعتهم المحصورين ما استطاعوا عليه من الطعام ، وأصناف آلات الحروب على الدوام.
قال الراوي :
فأرسلوا أبناء جفير للوالي عبدالله بن محمد الموصوف بالخير ، يسعون في أنواع الصلح وأسبابه خاضعين له ومنتظرين لجنابه ، فعلم بما هم عليه من سجية وطبيعة ، كما قيل قدم الحرب بالخديعة ، فلما أن وضح لديه حالهم الجلي ، جهزلهم جيشاً وأمر فيه الوالي محمد بن علي ، ليهجم جمعهم المستكن بصحار ، وليكن ذلك بعد الهدوء في غياهب الأصحار ، فأتوهم عند ذلك قبل بدو الصباح ، في موضع يدعي بمنقل مقرن في الأحاديث الصحاح ، وهو مما يلي





الجنوب من الحصن على ساحل البحر ، فهناك قد وقع فيهم الطعن والضرب والنحر ، ثم رجع والي الإمام محمد بن علي إلى لوى حاكياً لأصحابه مافعله في أضداده وسواه ، فما زالوا محاصرين الحصن بعد هذه الوقعة بمدة ، معتدين للحرب بأعدل آلة وأكمل عدة ؛ حتى أرسل سيف بن محمد بن علي رجال اليحمد وهم العدة ، إذ هم يومئذ رؤساء الرستاق ؛ ونجباء الإمام وأهل الشوكة يوم التلاق ، ليدخلوا به على الوالي الأكبر والمقدام الغضنفر والكوكب الدرى الأزهر ، وهو عبدالله بن محمد الأفخر ؛ ليخرجوا من حصنهم آمنين ومن سائر النهب والسلب سالمين ، فأعطاهم والي الإمام الأمان ، وأدخل عليهم رجال اليحمد بالإعلان ، فخرج سيف بن محمد في الوقت والحين ، ولم يعلم به أحد من المسلمين ، وخرجت من بعده سائر الأقوام ، وما تضمنه ذلك الحصن من الأنام ، فدخل والي الإمام الحصن بعد الحصر ، وذلك حين إذن الله له بالنصر ، وقد كان الحصر ستة أشهر في التعداد ، كما روي لنا ذلك في صحيح الإسناد ، وكان الجبري ناصر بن ناصر بن قطن المذكور ، قد ناصر الوالي عبدالله بن محمد المشهور ، على فتح حصن لوى بما عنده من الجمهور ؛ وقام بالجهد والإجتهاد في ذلك رجال العمور ، فجعل في الحصن والياً من جنابه ، عاملاً بما أمر الله به في كتابه ، وجعل معه بعض الرجال الموفين بحفظ الذمام ، العارفين بالدلائل والأمور والأحكام ، ثم رجع الوالي بعد ذلك لعالي جناب الإمام ، حاكياً له عما شاهد هناك على التمام ، مؤيداً منصوراً مسروراً محبوراً فائزاً بالمرام ، وقال المصنف فيما وقع ببلد لوى من الأمور جهراً وهو عبدالله بن خلفان بن قيصر شعراً ، واصفاً خلق مولانا الإمام السنية وحسن سيرته المرضية :

لقد من الإله على العباد	بآلاء ونعماء بوادى
وسربلنا بسربال حصين	يقيناً دائماً كيد الأعادى
أقام لنا إماماً ذا وقار	يدل العالمين على الرشاد
إذا مافاه في النادي بوعظ	تلين له قلوب كالجماد
به دين الهدى قد ناف طولاً	وفاق علا على دين الفساد



هو البدر التمام بجنح ليل — هو الشمس المنيرة للعباد
به آمن الخليقة في سراها — فلم تخش المهامه في السدادى
بذكر اسم الإمام يطيب براً — بكوم بل يلذ جداً لحادى
فمن عجبي إذا مافهت يوماً — بمدح فيه يسبقني مدادى
ومن عجبي لمدح فيه جداً — ولم تقض القرائح من فؤادي
ولم تنقص بدايتها بمدح — لأوصاف به بل في ازدياد
فلا زال الزمان به منيراً — له ثاني معاً والضد فادى
به افتتحت لوى فانجاب عنها — ظلام غياهب فحم السواد
وجانبها الفساد وكل فحش — وأنواع الغواية والعناد
وقد أضحت بدولته تحاكى — ببهجات معاً ذات العمادى
فما غشيت سراياه لقوم — معاً إلا رأت نيل المراد
إذا ما أم أقوماً بجيش — تحييه البلاد مع العباد

قال الراوي لهذ السيره الرائقة والطريقة المنيفة الفائقة :

ثم إن الإمام جهز جيشه العرمرم ، وأمر فيه الشيخ النقي المكرم ، والنقي الصفي المفخم ، ذا التقوى والإيمان ، الشيخ مسعود بن رمضان ، ومعه رؤساء القبائل من عُمان ، وسيرهم قاصدين مسكد بالتحقيق ، فأناخ الجيش بموضع يقال له طوي الرولة بالتصديق ، وهي بالمطرح بقرب مسكد المذكورة وذلك لصحة الرواية المشهورة ، ودرات رحى المنون مابين المسلمين والمجرمين للأخبار المشهورة ، ووقع مابينهم الضرب والطعن الشديد ، وكان النصر للمسلمين على المشركين والتأييد ، وهدموا ما احتووا عليه من مسكد من بروج باذخة ومبان شامخة ، وقتل من المشركين خلق كثير لا يحصون عدداً ، وذلك مما روى لنا من الحديث مسنداً.

فحين تحقق المشركون بالهلاك ، وأيقنوا أن لا لهم من الضيق فكاك ، بعثوا رسلهم للشيخ مسعود بن رمضان لينعم عليهم بالصلح بعد المشقة والهوان ، فصالحهم على فك ماتحت أيديهم من عضائب أموال العمور ، وأموال الشيعة





من صحار ، فأذعنوا بالطاعة بعد عظائم الأمور ، فأخذ لهم العهود على ذلك وأعطاهم الأمان ، ورجع بالجيش مؤيداً منصوراً إلى عمان ، حاكياً للإمام بما كان من المشركين من الطوع والإذعان ، وقال المصنف عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان :

لقد حبي الإمام من النعيم ... بنصر من لدن رب رحيم
سراياه مؤيدة بنصرٍ ... إذا ماوجهت نحو الخصوم
لقد سكنت مودته قلوباً ... لأهل العلم والتقوى المقيم
لقد خشيت عواقبه الأعادي ... فلا في الناس ذو ظلم غشوم
به الدنيا منورة علينا ... لولاه لكانت كالصريم
به قد دان جبار عنيد ... كذلك كل شيطان رجيم
لقد أضحت تعاهدنا بصلح ... ولولاه لصالت بالهموم
أمد الله مولانا بقاه ... بإثبات المسرة والنعيم
فمن والاه في نعم وأمن ... ومن عاداه في الخطر العظيم
فعش في العمر منصور السرايا ... تجود يداك بالفضل العميم
عشية مابمسكد حل جيش ... لمولانا الإمام المستقيم
فكادت أن تموج بساكنيها ... بزلزلة وبالخطر الأليم
فدانت أهلها قهراً ولانت ... وطأطأت الرؤوس إلى الكريم
وفاءت عن أمور في البرايا ... قبيحات وثابت للرحيم
فعوفي ربعها من كل سوء ... وطابت للمسافر والمقيم
وقد عرفت له قدراً وجاها ... عليها عند أرباب الحلوم
كان بها جنوناً قبل هذا ... فأخرج بالتمائم من جسوم



خبر قتل الأمير مانع بن سنان بن سلطان العميري

قال الراوي لهذه الحالات والحاوي لهاته الدلالات المروية :

فلم يزل مانع بن سنان العميري في اغتمام ، كامناً العداوة والبغضاء لمولانا الإمام ، قادحاً في ملكه على الدوام ، وكان مداد بن هلوان على ماصح عندنا وبان ، أنه قد إستأذن الإمام على قتل الأمير مانع ، لما قد جرى منه من الخدع ليصنع به ماهو صانع ، إذ كان عند المسلمين مستحقاً للقتل غاية الإستحقاق ، لسوء فعله في الناس وبغيه الذي لا يستطاق ، فكاتبه مداد ليدخله حصن الإمام من قرية لوى ، وكان الوالي بها حافظ بن سيف وبما عليها احتوى ، فلم يزل مداد خادعاً لمانع في ذلك لقول من روى ، فوافقه قدر الله وقضاه إلى مانوى ، فوجه إليه الأحاديث اللطيفة المليحة ، وعرض لديه بإخلاص المودة والنصيحة ، وآلى على نفسه بالأيمان الصحيحة ، لئلا يدخل قلبه الخوف والظنون القبيحة ، ففرح بذلك الأمير مانع ، وقال إنني بما عاهدتني عليه قانع فاستبد برأيه وهو بذلك الأمل طامع ، وكان مسكنه حينئذ قرية دبا ، فركب منها إلى صحار منتظراً من مداد النبأ ، وأقام بها أياماً ينتظر الأمل مداد ، ليأخذ حقيقة الخبر منه ويزداد ، فجدد له عهداً على ما واعده ، وأكد له إنه قد عاهده ، فركب من صحار إلى لوى في سفينة ، قاصداً الحصن لوى لآماله المكينة ، فغابت السفينة في لجة البحر عن الأبصار ، وذلك عندما ركب فيها من مدينة صحار ، حتى أتت ببرها لوى على ساحل بحرها ، نعوذ بالله من قدومها هنالك وعاقبة أمرها ، فنزل منها الأمير مانع بن سنان ، بمن معه بعد ما ضمن له مداد بدخول الحصن وأطمعه متيقناً بالدخول وصحة الميعاد ، والاحتواء على العشيرة بالجد والإجتهاد ، وكان قد ساقه القدر والقضاء ، فأخرجه من الحذر إلى الفضاء ، وقد كان الوعد فيما بينهم ليلة من الليالي ، ففرق له الوالي حافظ بن سيف جموع الرجال ؛ وأحاطوا بالأمير من الغرب والشرق والجنوب والشمال ،





وهو لا يعلم مع ذلك انه مخدوع ، ولا عن البلد والحصن ممنوع ، فمالوا عليه شراة الإمام ميلة واحدة ، وأخذوه قهراً وذلك لسبب من عاهده فقتل حينئذ شر قتلة ، وتفرقت خوف القتل جنوده قبله ، وقتل من حصل معه من الرجال ، وانهزم الباقون خوف القتال ، وسر بذلك المسلمون إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وعم بذلك المسلمين السرور والبشرى ، وقال المصنف في ذلك شعراً :

لقد جاء الهدى ونفي الضلال ... وزال الحرم واشتهر الحلال
عشية ما استقام لنا إمام ... له من ربنا العالي جلال
يروقك إن جلست لديه نطق ... وأوعاظ تذوب بها الجبال
هو النور المضي على البرايا ... وللدين القويم هو الجمال
لقد ذلت لسطوته قرونٍ ... وقد فلت حصون لاتنال
فحسبك بالنهار هدى وعدلاً ... وفي آن البهيم له فعال
تر الأسفار ملقاة لديه ... ليوم السلم ليس له مآل
وفي الهيجاء ديدنة المذاكي ... هنالك والذوابل والنصال
فتقوى الله حشو حشاه جمعاً ... بأبناء الجنان لها محال
له شغل بتقوى الله حقاً ... إذا شغل الملأ أهل ومال
فتلك خصال مولانا فطوبى ... لمن تلك الخصال له خصال
بأفئدة الكريم له وداد ... به مزجت فليس لها انفصال
والباب اللبام بها هموم ... وجمر بالدوام لها إشتعال
أمد إلهنا عمراً طويلاً ... له وحباه ملكاً لا يزال
ومانع الفتى ابن سنان قدماً ... له في الناس مرتبة وحال
أراد زوال مولانا بجهلٍ ... وأمر الله ليس له زوال
وزينت الظنون له فعالا ... ومقصده لمولانا القتال
وقد مالت لسيرته رجال ... بجهل والرجال هم الرجال
إذا أعطى المهيمن ملك قوم ... لشخص كيف يأتيه انتقال
فكم لعبت أماني بقوم ... مضوا عبراً وأقوالاً تقال



كذلك مانع ابن سنان كانت ... له قصص بأندية تدال
مضى لقضا قاضي قد قضاه ... سطى فحواه في القاع المحال
وقد خاض الأمور بغير حلم ... ولا فكر فمنهجه ضلال
تبارك ربنا وعلا سموا ... عن الأشياء ليس له مثال



خبر افتتاح قرية الصير

قال الراوي لهذه المذاهب النفيسة والحاوي لهذه الملاحة الأنيسة :
ثم إن الإمام نصره الله جهز جيشاً لهاماً ، وأمر فيه علي بن أحمد بن عثمان النزوي وجعله مقداماً ، وعضده بني عمه أبي العرب الأمجاد ، وأمرهم على امتثال أمره والطوع له والانقياد ، فقام الجيش على أقدامه يقطع السباب والآثار ، ويجتاب الصياخذ ويجاوز القفار ، مستقبلاً قاصدا بمشيئة الله تعالى بلدة جلفار ، حتى بلغها ذلك الجيش الكبير ، وكان بحصنها ناصر الدين العجمي الأمير ، وعنده جيش من العجم أهل مينا وفار وخصير ، فحصرت العرب العجم بحصن الصير ، وما زالوا مجتهدين في الجهاد من غير تقصير ، مشمرين في ذات الله تعالى غاية التشمير ، قد استنصروا الله فنصرهم وهم نعم المولى ونعم النصير ، وما برحوا فيها قائمين بالحرب والنزال ، والعزم القوي الذي لا يزال ، فظاهرت الأعداء فرقة من المشركين ، وكانوا في قتال المسلمين مشركين حتى رد الله أهل النفاق على أعقابهم وسلط المسلمين على المجرمين ، بقد رقابهم وكان لحصن الصير برج معتزل عنه له جدار ، والجدار هو متصل بالحصن وهو له مدار ، وفيه أقوام تقاتل آناء الليل وأطراف النهار ، وكان غربان النصاري تدفع بمدافعها المسلمين عن الحصن بضرب مدافعها ، وليس بضربها عن سطوات المسلمين بنافعها. فعزم المسلمون على هجم البرج الذي هو للحصن منقاد ، واتفقت آراؤهم على ذلك إذا غشي القوم الرقاد ، فهجموا عليه ليلاً وأخذوه قهراً ومالوا على الحصن فافتتحوه جهراً ، وذلك من فضل الله على الناس وتتابع نعمه وحسن ألطافه الخفية فيهم وواسع كرمه وجعل والي الإمام بحصن الصير من جنابه والياً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والبغي ما حيا فشد الله يومئذ للمسلمين إذ رأوا حياهم هنالك عزاً ونصراً فنالوا بذلك فضلا وفخراً وقال المصنف في ذلك شعراً :





لقد أيد الله دين الهدى ... فما زال حياً لنا سرمدا
وقد فاز عزاً على كل دين ... وقد ناف طولاً لدين العدى
وها نحن في ظل خير تقي ... له عزة مثل صبح بدا
إمام زكى إذا ما أتى ... تخر الملوك له سجدا
جلا عن قلوب الملأ ريبها ... وكالبيض كانت عليها الصدا
به أيد الحق بعد الضلال ... وقد كاد يصمى بوقع الردا
فدته نفوس الورى جملة ... من الضر حقاً ونفسي الفدا
فلا زال سيفاً لنا قاطعاً ... لقد قمع الضد لن يغمدا
ولا زال نوراً لنا ساطعاً ... يضئ البلاد بطول المدى
و لا زالت الناس في أمنه ... وفي الحفظ ما طائر غردا
جرى الآن بالصير ماقد جرى ... من القتل بين الملأ سرمدا
وزلزلت الأرض واشتد حرب ... بضرب المدفع لما أعتدا
وظن النصارى وأشياعهم ... بلوغ المنا من إمام الهدى
فخيب ذو العرش آمالهم ... بدنياهم هذه بل غدا
أباد المهيمن دين المسيح ... وأحيا لمذهبه دين أحمدا
عليه الصلاة وأزكى السلام ... والآل والصحب أهل الندا



خبر افتتاح قرية دبا

قال الراوي لهذ الأقاويل المرتبة والحاوي لهذه التماثيل المتخبة :

ثم أقبل الجيش الذي كان بجلفار ، قاصداً قرية دبا مع رجال الدهامش يقطعون الأقفار ومعهم خميس بن محزم معتصمين في قصدهم بالواحد الملك الغفار ، وكان خميس بن محزم مجداً مجتهداً مشمراً في ذات الله أذياله ، باذلاً في الجهاد حيئنذ نفسه وماله ، وكان بقرية دبا حصن بساحل البحر للنصارى ، فدخل جيش المسلمين البلد ليلاً أو نهاراً ، واستولى على جميع أهلها ونخلها جهاراً ، فحصر النصارى جيش الإمام ، وبنوا فيها صيصاً مشمخراً لا يرام ، فاستذلت له دولة المشتركين غاية الاستذلال ، وبعثوا به رسلهم يومئذ في الحال ، فصالحهم الوالي المؤيد بالتمكين ولحقن دماء المسلمين ، ولا ستراحتهم من الرخام والقرار إلى حين.

فأقام المسلمون بحصن دبا رجلاً من الثقاة آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ومعهم بعض الشراة ، ثم رجع المسلمون منصورين على الشرك وأهله ، ماحين صريم الضلال وبهيم جهله ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، حتى قدموا على مولانا الإمام بنزوى فاستبشر بقدومهم عليه وباستفتاح الصير إذ هي بالمسافة القصوى فأثنى الإمام على واليه حين امتثل لديه حاكياً له عن افتتاح الصير ودبا ، وهو مابين يديه ، فحمد أمره وشكر سعيه وخلع عليه فنال مولانا الإمام بذلك مجداً وفخراً ، حين أيده وحباه عزاً ونصراً ، وقال المصنف شعراً :

لقد رجعت جيوش المسلمينا	إلى نزوى الشريفة ظافرينا
بإجلال وتأييد لنصر	وعز لم يزل للمسلمينا
وذلك من إله قد حباه	إماماً عادلاً ثقة أمينا
قد افتتحوا صياصي البلد جمعاً	وجاؤوا بالمسرة فائزينا
وقد ذلت لهم طوعاً عُمان	وكان لحزبه المولى معينا



ومن صور قد افتتحوا حصوناً إلى الصير القصية أجمعينا
وقد محى الضلال وقد تولى وقد خضعت له رقاب الظالمينا
أدام الله ظلا نحن فيه بطيب مسرة طول السنينا
ولا زالت طوالعه سعودا منورة تضي العالمينا
ولا زلنا نكف به الأعادي ولا زال الإمام لنا وفينا
بأرض دبا لقد وقعت حروب تكاد لها الصياخذ أن تلينا
لقد قدت بها هامات قوم وأودوا في الضريح ملحدينا
وكان النصر للإسلام فيها على قوم النصارى المعتدينا
فأصبحت البلاد ومن عليها لناصر بن مرشد خاضعينا
كذلك من حباه الله نصراً تصير له الخلائق طائعينا



خبر سير الوالي على صحار

وقال المؤلف لهذه الروايات والمصنف لهذه الحكايات :

وكان رجال العمور شراة باللوى في خدمة الإمام ، وكان الوالي بها حينئذ حافظ بن سيف المعروف بابن يحيى في الأنام. فأسندوا عليه في أخذ صحار بعض الأسانيد في تعريض الكلام ، أن يوجه لها جيشاً ويؤسس لها حصناً ليجوز الأنام ، فاستحسن رأيه السديد وصغى إليه ، وقد كان طائعاً ومعتمداً عليه ، فبعث رسله لمن بقربه من أهل القرى والدور ورؤساء القبائل وبني خالد وبني لام ورجال العمور ، وأخذ من قرية لوى شراة الإمام ، وهم العمدة وشوكة الجمهور بالتمام. فسار بالجنود متوجهاً إلى صحار ، قادماً عليها بالجحافل راد الضحى من النهار ، وكان رجال من أهل صحار يدعونه إلى ملكها فأجابهم إلى ذلك ، لم يعزم على تركها ، ففصل بالجنود ، وبات بقرية عمق ، ولم يعلم به من صحار أحد من الخلق ، وصبحها ضحى في آخر يوم من محرم الحرام لسنة ثلاث سنين وأربعين سنة وألف سنة من هجرة خير الأنام عليه السلام(1) ، وأناخ بمكان يدعى بالبدعة من صحار ، وذلك هو أول يوم نزل بها لصحة الآثار ، وصال جمع المسلمين على المشركين حتى وصلوا إلى حصن بني الأحمر ووقع بينهم الطعن والضرب فيما قضاه الله وقدر ، وكانت النصارى تضرب بمدافعها المسلمين ، ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله رب العالمين.

وكان الظفر حينئذ للإسلام حتى أدخلوهم حصنهم قهراً بالتمام. ثم انتقل الوالي من من المكان الذي كان قدماً فيه ، ونزل بالمقدمي من صحار لقصة ما يحكيه المصنف ويرويه ، فما أقام بها إلا مدة قليلة من الأيام وما زالت النصارى تضرب بمدافعها الأنام وتوجهها قصداً لجمع الأقوام ، فاشتد ذات يوم على المسلمين شدة ضربها لاستحقاقهم بالقصد لفئة الإسلام ، والعلم بقربها ، فجاءت ضربة من مدفع مرتفع بمكان عالي فحصدت النخيل والجموع وقصدت نحو مجلس الوالي وكان جالساً بين أرباب دولته الأمجاد وبجنبه أخوه في الله وهو راشد



بن عياد ، وشراة الإمام محيطة بهم ومعهم خلق كثير من أهل البلاد. فأصابت الضربه راشد بن عباد دون أولئك الصفوف ، وكان ذلك لحصول القضا وحلول الحتوف فمات حينئذ ودفن سريعاً في الحال ، فعزم الوالي من ذلك المكان على الارتحال ، ثم عزم الوالي على بناء حصن في صحار ، وذلك لأجل الإقامة فيه والسكن والقرار ، فأمر من فوره بتأسيس قواعده وبنيانه ، وتثبيت أوابده وأركانه ، فاستتم بنيانه وأقام فيه والي الإمام حافظ بن سيف.

ولم يزل الحرب مستقيماً دائماً آناء الليل وأطراف النهار ، إلى أن استقل قاضي القضاة الرستاقي خميس بن سعيد ، واستقامت عنده طائفة اليحمد وهم أولو البأس الشديد ، وذروة من انتخبه من ذوي الرأي السديد. وجعلوا يقطعون الدكادك والبيد ، ويخترعون البرامع والصعيد ، حتى أتوا إلى قرية بوشر ، فأرسل لهم المشركون بالصلح كفاية للشر ، فأنعم عليهم الشيخ خميس بن سعيد بالرضا والصلاح ، ورجعوا عنه ببلوغ القصد والنجاح.

ثم بعث رسله للنصارى في مسكد ، ليطلع على أحوالهم الخفية ويتأكد ، ثم لم تزل الرسل ما بينهم متواترة وأسباب الخير والسرور متكاثرة. ثم ركب الشيخ خميس بن سعيد وأناخ بالمطرح وأقام بها أياماً فلم يبرح. ثم أرسل رسله للنصارى فأجابوه وأذعنوا له طوعاً فلم يحاربوه ، وجاءت رجالهم إليه ووجوه أهل البلاد وامتثلوا لأمره عليهم بما أراد ، فأرسل القاضي بفك المقابض التي كانت عليهم ، ورخص للناس في التوجه إليهم ، وأطفأ الله نار المشركين فخمدت ، وشكرت البرية باريها فحمدت ، وكفت الأيادي على القتال ولأسيافها غمدت وأعلى الله للمسلمين جاهاً وقدراً وملأ قلوب المشركين هيبة وقدراً ، وقال المصنف عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان شعراً من الوافر :

ضياء العز بان لنا ولاحا	فشاهدنا لرؤيته فلاحا
وقد وافى السرور وكل خير	وعاينا المسرة والصلاحا
وقام هناك داعي الحق يدعو	ويذكر فيه أقوالاً ملاحا
فصرنا نستلذ له كلاما	قليلاً ثم شاهدنا الصباحا





يطيب النطق في ذكرى إمام ضحى وعشياً صباحاً بل رواحا
أدام إلهنا فينا إماماً به لأمورنا نلقى النجاحا
لقد حلت مودته قلوباً منورة وأفئدة صحاحا
فقي الأخلاس خرس ثم لكن وفأفاء كأن بها جراحا
وفي مدح ابن مرشد قد تراها إذا امتدحته ألسنة فصاحا
فكم وجهت من أبيات شعر له وحشوتها فيها امتداحا
عليه من لدنا كل حين سلام ماشدا الشادي وناحا



خبر افتتاح بلدة قريات

قال الراوي لهذه السيرة الحميدة والحاوي لهذه الطريقة الرشيدة :

ثم إن مولانا الإمام المؤيد المنصور ، جهز جيشاً ووجهه مع بعض الولاة إلى صور وهو أبو العرب بن مانع بن إسماعيل المشهور ، وهي بلدة شاسعة عن ملك النصارى ، فنزل بها المسلمون وحصروها جهاراً ، فلم تزل الحرب بينهم ليلاً ونهاراً حتى خول المسلمين فتحاً و نصراً وأيدهم على النصارى فافتتحوها قهراً.

ثم توجهت فيه الإسلام ، لقصد فيه الظلام بقرية قريات ، وللنصارى فيها حصن لصحة الأحاديث المرويات ، وأناخ المسلمون فيها بجيشهم اللهام وبنوا فيها حصناً لمولانا الإمام ، وحاز المسلمون عن أهلها جميع الأموال بالتمام ، وجعلوا في الحصن والياً ومعه بعض الشراة ، وذلك مما قضاه الله في خلقه وأجراه ، فافتتحت للولاة حصن قريات وصور ودانت جميع القبائل لمولانا الإمام المنصور ، فاحتوى ملك الإمام على جميع إقليم عُمان من صور إلى الصير وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وهو حسبنا ونعم النصير.

قال المصنف عبدالله بن خلف بن قيصر شعراً من الوافر :

ألا ياقوم قوموا للجهاد ... بأسياف مجردة حداد
وعزم ثابت ويقين صدق ... يفوز به امرؤ يوم التنادي
جزاؤكم غداً جنات عدن ... محلاة بأبكار خرادي
وحور في قصور عاليات ... مزخرفة البنا لا بالجمادي
حصاها الدر والمنثور وأما ... التراب بها فمن مسك وصادي
تفوق على البلاد ماحوت من ... سرور مع حبور مستفاد
ولا لنعيمها شبه ووصف ... ولو كانت معاداة العماد
جنان قد حباها الله قوما ... لها ثمر تناول بالأيادي
هلموا بالجهاد كي تفوزوا ... بذلك كله يوم التنادي



أعد إلهنا لكم ثوابا ... يفوق لوفره قطر الفوادي
هو الذخر الحريز ليوم حشر ... ألذ هناك من ماء لصادي

قال الراوي لهذه الحكايات الفاخرة والمقالات الزاهرة :

فلم يزل ناصر بن قطن يغزو من بلد الأحساء إلى أرض عُمان على الخيل الضمر والكوم السمان ، وعنده من البادية من يستعد للضرب والطعان ، والداعي لذلك أخذ الإبل منها والأموال ، والسلب والنهب وسائر هذه الأحوال ، فيأخذون جميع ذلك ويرجعون إلى بلد الأحساء ، وذلك لقسوة قلوبهم إذ هي كالحجارة أو أقسى ، فما زالوا على هذا في كل سنة يغيرون لعُمان ، ويفعلون بها أفعالاً لم يرضها الرحمن ؛ فكتب مولانا الإمام لواليه محمد بن سيف الحوقاني أن يتجسس ويتفحص عن قدوم ذوي العدوان القاصي منهم والداني ، حتى إذا علم بقدومهم التقاهم بالجنود من دون عُمان ، ليكونوا من شرهم في حرز وأمان ، فامتثل الوالي لأمر مولانا الإمام ، وكان مشمراً لطوعه عن الإقدام وعزم لذلك على جمع الأقوام ، من الأماكن القاصية والدانية من أهل شوكته ومن الحضر ورجال البادية.

ثم أقبل ناصر بن قطن على ماجرى من العادة ، فتلقاه محمد بن سيف الحوقاني الوالي قبل أن يبلغ مراده ، فصد عن جيش الإمام قاصداً للظفرة القاصية ، ودخل حصنها بمن معه من البادية العاصية ؛ وعصبت له عصبة من قوم بني ياس ، وهم أولو الشدة والعزم والبأس ، وقل على المسلمين هنالك الزاد ، وشق عليهم ذلك لبعد المسافة عن البلاد ، فوجه الجبري ناصر بن قطن رسله للوالي محمد بن سيف اللوذعي المصالي ، ملتمساً منه الصلح على رد مانهبوه ، والعزم على ماأتلفوه ، من الكسب واغتصبوه ، فأنعم عليهم بذلك فاصطلحوا على ذلك الحال وعزم الوالي من الظفرة على الارتحال.

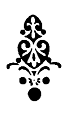
قال الراوي لهذه النوائب الفاجعات والحاوي لهذه المصائب الواقعات :





وكان ناصر بن قطن وأبناء محمد بن جفير آل هلال ما زالوا يعاهدون البادية من الجنوب إلى الشمال وأكباب المتالع والرمال ويتثقفون بهم ويجدون الآمال على أخذ مواشي الضعفاء ونهب الأموال فاجتمعت أقوامهم حينئذ على الفوز للنهب والسلب والجور واتفقت آراؤهم على مهاجمة حصن "الجو" بجيشهم القوي ، وكان فيه والي الإمام أحمد بن خلف النزوي وجميع أهل "الجو" لناصر ابن قطن قد انقلبوا إليه ومالوا ، وانصرفت قلوبهم عن مودة الإمام فانجالوا ، فدخل ناصر بن قطن وقومه الجو ، وداروا بحصن الوالي ، فعلم ولاة المسلمين من الباطنة والظاهرة والجبال العوالي ومن كل مكان عال ، فاجتمعت إذ ذاك أقوام الإمام وهم الجحاجحة و الأبطال العظام وهجموا بلدان الجو بالتمام ، فدخلوا حصن الوالي فزالوا عنه الضيق ، واستوى له بدخول أولئك القوم طريق ، بعدما احتمل من الأعداء والأضداد مالايطيق ؛ ثم أقبلت سرية الباطنة ، وأناخت بالجو وقت الضحى ، فخرجت الأعداء من الجو وتزحزح جيشهم وانتحى ، ثم أقبل الوالي الأكبر وهو عبدالله بن محمد بجحفله من نزوى جالياً عن المسلمين الضرر والشدة والبلوى ورافعاً عنهم جميع الأسواء فأناخ بالجو بجيشه اللهام ، آمراً بهدم حصون الجو بالتمام ، ماحياً لأوابدها ما خلا حصن مولانا الإمام ، وأما عمير بن محمد فقد أقبل إلى النصارى في صحار ، وتوجه الباقون لنحو مكان يسمى بالعقبة من بلد جلفار ، وصاروا يقطعون الطرق ويغيرون على البلدان وينهبون من يرون من الحضر والبلدان ، فساروا عليهم ولاة الإمام لديارهم فهجموهم فقتل من قتل إذ ذاك ، وهزموهم وأخذ الوالي ومعه إبلهم السمان ، ورجعوا قاصدين بها إلى عُمان ، وحباهم الله تعالى ذلك نصراً وأطالهم في العالم عزاً وفخراً ، وقال المعتصم بالله المنان عبدالله بن خلفان بن سليمان في ذلك شعراً :

لقد نصر المهيمن ذو الجلال ... إمام المسلمين على الضلال
وقد قام الهدى لإمام عدل ... بنصر الله والأسل الطوال





بلوغ الحمد بالجرد المذاكي لذي الهيجاء وبالسمر العوالي
وقد تبنى العلا والمجد حقا بسمر الخط والبيض الصقال
فتلك خلال مجد قد حواها إمام خص حقا بالكمال
فدين الحق أضحى في سرورٍ ودين الشرك أمسى في زوال
ومن عجبي إذا مافهت يوماً بمدح فيه ساعدني مقالي
وتنسلس البداية فيه جداً فتأتي بالمعاني كالآلي
فلا زالت لياليه سعداً منورة على طول الليالي
به أمن السلوك بكل طرقٍ فلا أخذ لنفس أو لمال
يسير المرء من صور فريداً إلى الصير القصيد لا يبالي
وذاك لحسن إنصاف وعدل بسجن مع جراح مع قتال
فلولا العدل لم تؤمن عمان ولم تبلغ إلى أعلى المعالي
به الجو استقامت بعد نهب كذلك الصير في حسن اعتدال
أدام لنا الإله له وجوداً وتأييد إلى يوم المآل
عليه تحيتي وكذا سلامي على قاص ودان بالتوالي

قال الراوي لهذه السيرة السنية والطريقة البهية :

وأما ما كان من ناصر بن قطن الهلالي فقد اتفق رأيه ورأي ابن حميدالخالدي ذي المعالي وعندهم أقوام من باديه الأحساء ، الذين قلوبهم أصلب من الحجارة وأقسى ، وعندهم السبارق من النياق والخيل المسومة العتاق ، قد استلأموا بآلات الحرب والنزال ، وعزموا على الطعن والضرب والقتال ، ودخلوا عُمان لقصد بني خالد وبني لام ، إذ هم أولوا الإبل لما يأتيهم عنها لصحة الكلام ، والثقة بعلم من يسند إليهم الأعلام. إذ لم يزل بأرض عُمان مسكنهم الباطنة ، ولم تبرح إبلهم فيها على الدوام قاطنة ، لأنها ذات ماء وأشجار وسوح واسعة وقفار ، فهجموا على ما فيها ، وأخذوا منها جميع مواشيها ، وكان ذلك الأخذ من غير مشقة ولا تعب ، ولا نصب ولا وصب ولا لغب ، حتى لم يكفوا أكفهم

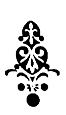


عن سلب النساء ، وأخذوا ما عليهن ما الحلى والكساء ، ورجعوا بما أخذوه لبلدهم الأحساء ، فويل لهم مما أخذوا قهراً وحرباً ، وحسبهم الله بما فعلوه دنيا وأخرى ، وقال المعتصم بالله عبدالله بن خلفان بن قيصر شعراً ، من المتقارب :

لقد صبح الجيش للباطنة	وفيها بنو خالد قاطنه
فمن هجر وافوا وأكناف نجد	لآجال قوم بها حاينه
ونهب المواشي بكل الحواشي	بأشجارها لم تزل كامنه
وصبحها جمع جرد عليها	عناة لهم بالقنا طاعنه
فساقت جميع المواشي وأما	بنو خالد أصبحت ضاعنه
ترى النوق تحمل مايسلبون	وخيلهم تحتهم صافنه
أتاها البغاة على مثلها	وقد شاهدوها إذاً عاطفه
وهم جمرة القوم ماقيل فيهم	بيوم بنو خالد خائنه
ولكن قضى الله فيهم يدا	وقدرته في الملا كائنه
فكل يجازي على فعله	ويندم يوماً إذا عاينه

قال الراوي لهذه الحالات المسطورة والحاكي لهذه الأقوال المأثورة :

ثم إن ناصر بن قطن جمع جنده مع أبناء محمد بن جفير ومن تابعه من البادية ، وجعل يجد في السير قاصداً الباطنة النهب والسلب والضرر ، ثم جهز مولانا الإمام جيشاً وأمر فيه علي بن أحمد بن عثمان الوالي وعضده بمحمد بن صلت الريامي المصالي وعلي بن أحمد بن راشد البوشري وعلي بن محمد الغبري وعنده أحمد بن بلحسن البوشري ، وانتخب من القبائل كل سميدع جري ، وهبطوا الباطنة وقدموا قرية لوى بجيشهم الكرار ، حتى أقبل ناصر بن قطن بقومه وأناخ بالأسرار ، فطلعت عليه فيها ولاة الإمام ووقع بينهم المجال والصدام ، ثم ركب منها بقومه إلى قرية مجيس ، فركب الولاة نحوه ومعهم كل مقدام ورئيس ، ثم ركب منها قاصداً بلاد الشمال ، فسار الوالي علي بن أحمد ،من انتخبه من جحاجحة الأبطال ، وقصدوه فوراً على كل عيسجور من الجمال حتى لحقت





بالقوم أول ذروة من قوم الإمام لقوم ناصر بن قطن بجيشه على التمام ، وكان أول من قدم على القوم أحمد بن راشد البوشري الجواد ، ورجل من الرؤساء الأفاضل يقال له مراد ، وابن عمه السميدع راشد بن حسام والبعض من الشراة خدام الإمام ، وكان جمهور ناصر بن قطن بموضع يقال له الخروس ، فوقع القتل في المسلمين واخترام النفوس ، وذلك لقلتهم وكثرة ضدهم ، ولانقطاعهم عن أصحابهم وبعدهم ، وكان ذلك القتل قبل تكامل جيش الإمام فقتلوا هنالك جميعاً شهداء ولله الدوام فحين قدم شراة الإمام شاهدوهم على الأرض صرعى ثاوين هناك يشرب نجيعهم الدفقا ، وقال المعتصم بالله تعالى في ذلك شعراً من الطويل [١] :

ألا يا عين جودي بالدموع الذوارف ... وشوبي الدما في دمعك المتواكف

ويا قلب ذب وجداً ومت كمداً على ... فراق الكرام الفاضلين الأشارف

مراد بن نبهان وأحمد ذو التقى ... كذا ابن حسام مع شراة أشارف

لقد جاهدوا في الله حق جهاده ... فطوبى لأقوام ليوث غطارف

قضاهم إله عادل واجتباهم ... لكل مرير قلب به غير واجف

فرضوان مولانا عليهم بصبرهم ... لما شاهدوا في شاسعات الشائف

أعدلهم ذو العرش أجراً لصبرهم ... من الخير مايسمو اعلى وصف واصف

فماذا بهم ، إلا هلاك لظالم ... وطمس لفسق ثم أمن لخايف

يودون في دنياهم كل طائع ... ويؤذون في التحقيق كل مخالف

بأيديهم بيض الصفائح في الوغى ... وفي أمنهم يتلون سود الصحائف

ألا إنهم أهل المكارم والعلى ... وأهل التقى حقاً وأهل المعارف

قضاهم إله العرش ثم اجتباهم ... إليه وأعطاهم جميع الوصائف

وقد كشف الرحمن عنهم كروبهم ... بحسن هبات إنه خير كاشف

عليهم من الله المهيمن رحمة ... وأمن بتكرار الطواف لطائف

وآنسهم من أنسه بقبورهم ... ونفس عنهم مطبقات السقائف



(١) في المخطوطة (١٨٥٦) قصيدة لم يذكرها المحقق.



قال الراوي لهذه الآثار العجيبة والحاوي لهذه الأخبار اللبيبة :
ثم إن ابن حميد ، وهو محمد بن عثمان قد انتخب البعض من جماعته وغزا بهم أرض عُمان وقصد بلاد السر ولم يطلب من الإمام ولا الولاة الأمان، وأناخ بقرب بلدة الغبّي ، وكان واليها محمد بن سيف الحوقاني نعوذ بالله من التهم وسوء الأماني ، وكان هنالك سعيد بن خلفان وهو والي الإمام وخلاصة أهل شوكته بالتمام ، وذروتهم الموفين بحفظ العهود والذمام ، فطلب سعيد بن خلفان من ابن حميد المواجهة ، وبعث رسله إليه قاصداً للمشافهة ـ فتوجه إليه ولم يطلب منه الأمان ، وذلك مما قدر الله وقضاه عليه الرحمن ، فتواجهوا بالمسجد المبني على شريعة الغبّي من بلد السر ، إذ لم يعلم غيب السموات والأرض إلا الله العالم بالسر ، فجرى بينهما الكلام في التجري على نهب أموال الناس ، وقتلهم ونهب أنعامهم وما عليهم من اللباس. فقال الشيخ سعيد بن خلفان لابن حميد وهو محمد بن عثمان ،إما ترد ماكسبته ونهبته من العباد ، إما تستكن طائعاً الله سالكاً سبل الرشاد ، إما تتقي الله وتخشاه يوم المعاد فأعرض عنه بوجهه وتولى ، وقال حاشا وكلا ، وأبى عن الطوع و الانقياد وغضب لذلك وتكبر ، وعلا في نفسه هنالك وتجبر ، لأنه من أهل العتو والعناد.
فأمر سعيد بن خلفان بأسره فأسر ، وأمر به أن يدخل حصن الغبّي من بلاد السر ، ثم أمر به أن يقيد بالحديد فقيد ، وصار في العذاب الشديد.
ثم ركبوا الغبّي يحثون السير على الكوم العتاق ، آمين به في سيرهم لنحو قلعة الرستاق ، فأرسل سعيد بن خلفان لمولانا الإمام مخبراً له بأحوال ابن حميد على التمام ، فبعث له الإمام جواباً بأن يجعله في قلعة الرستاق ، فأقام بها قريباً من خمسة أشهر بأتفاق ، وتوفى بحبسه ليلة السابع من الشهر ولله الدوام ، وكل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.
وقال المعتصم بالله عبدالله بن خلفان بن قيصر شعراً :
(ومن الكامل) :

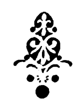




يعصي الفتى وطريقه العصيان ... وسلوكه البطلان والخذلان
يسعى لتحصيلِ الأماني التي ... فيها له الإذلال والخسران
لم يستمع يوماً لوعظ مواعظ ... فكأنما قد صمت الآذان
فكفاك يا ابن حميد ما لاقاه من ... سوء الظنون فحظه الحرمان
قد قاده الطمع المذل لأهله ... فكان ليس له بعد جنان
قد كان مصدام الفوارس في الوغى ... ليثاً تذل لبأسه الشجعان
إن قيل للأقران وافي ويحكم ... مردي الكتائبِ فرت الأقران
حتى استقاد لسوء آمال له ... ورمته قهراً بالنبال عُمان
بالله كيف قدمت نحو ديار من ... لك في نحورهم قلى وهوان
لم لا أخذت إليه منهم على ... ماتختشيه إن ذا البيان
أمنت قوماً قد ملأت قلوبهم ... غيظاً ومنهم لم يجئك أمان
ومن العجائب كيف تأمن من ... لك في سويدا قلبه أضغان
فالضد تخشى بأسه أهل الحجى ... ويخافه في طيفه الوسنان
قدر وأقضية قضاها خالق ... لم يمتنع عن وقعها الإنسان
إنا نلومك والقضا هو سابق ... إذ حان حين واستتم أوان
كيف التجأت بمن أسأت إليهم ... متيقنا لك أنهم عدوان
إن اللسان له عواقب تختشي ... دون السنان فكيف وهو سنان
وإذا قضا الرحمن في الخلق القضا ... عميت له الألباب والأعيان
ومن الرجال لها قلوب صورت ... بجسومها بل مالها أذهان
يارب جرنا من مطامعنا التي ... فيها لنا الخسران يا منان
وأختم لنا بالصالحات وجد لنا ... بالعفو والغفران يا رحمن

قال الراوي لهذه العبر ، والحاكي لصحة هذا الخبر :

ثم إن مولانا المكرم و الإمام المقدم أقام بتجهيز جحفل من الباطنة ومن عُمان فجهزوا ، وأمر فيه العمدة وهو الشيخ سعيد بن خلفان ، وعضده حينئذ بابن جبر عمير وهو ابن محمد بن جفير ليذل به العدوان ، وسارقاً قاصداً لإبل ناصر بن قطن الهلالي ، وكانت إبله آمنة سائحة بالمكان الشمالي ، فالتقاه بنوياس من





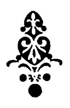
دون إبله المذكورة ، في موضع يقال له الشعيب وهو بقرب الظفرة المشهورة ، وصال عليهم سعيد بن خلفان بجيشه العرمرم ، إذ فيه كل همام غشمشم ، وجرى بينهم الطعن بالرماح والضرب بالصفاح ، وكان مقدام قوم بني ياس ، رجلاً يسمى صقر بن عيسى معروفاً بالشدة والبأس ، فقتل بالضوضاء بعدما دهمهم بحومة الوغى ، وصرع بالغوغاء حين غمغم وطغى ، وزمجر بالهيجاء ، وغضب وقطب وجهه وبغى ، وكان له أخ يدعى محمد بن عيسى ، فلما قتل أخوه في معرك المجال ، وقتل من جماعته الشموس بعض الرجال ، اغتالته في قتل أخيه الآلام ، وأحالته عن خلقه الفجائع والأسقام ، فحمل إذ ذاك على جيش الإمام ، فالتقته الأقوام ؛ بكل لهذم وحسام ، لاسيما هنالك بضرب البنادق ، فخر صريعاً جريحاً بصعيد المآرق فصاح القوم يطلبون العفو من والي الإمام ، فعفى مكرماً عمن بقي من الأقوام ، ثم رجع والي الإمام بجيشه ظافراً على العدوان ، راجعاً بالسرور والحبور إلى عُمان ، وقال المعتصم بالله الرحمن عبدالله بن خلفان بن سليمان في ذلك شعراً :

هنيئاً بالسعادة يا سعيد	ففعلك في الملا فعل حميد
فقطعت مفاوز الهلكات حتى	تذلل غاشم ووهي الجليد
وخافك كل طاغ عنك ناء	وحل بقلبه الخوف الشديد
إذا ذكر اسمك الزاكي اشمأزت	قلوب الضد وهي إذاً حديد
نصرت لدين ربك في جهاد	فأنت به إذاً وغداً سعيد
وفي الأخرى ثواب ليس يفنى	ولا أبداً لعمر أبي يبيد
كفيت حوادث الدنيا جميعاً	ولقيت المراد لما تريد

(١)

قال الراوي لهذه السير الفوائق والحاكي لهذه الطرف الروائق :

ثم إن مولانا إمام الزمان جهز جيشاً من الباطنة ومن عُمان ، فأمر واليه سعيد بن خلفان وعضده حينئذ بالجبري عمير ، وهو ابن محمد بن جفير ، حتى أتوا



(١) في المخطوطة (١٨٥٦) زيادة ثمانية أبيات لم يذكرها المحقق.



إلى مورد يقال له دعفس ، وهو كاسمه في المعنى بل هو أتعس ، طلباً لإبل ناصر بن قطن من آل هلال ، فوجدوها سائحة هنالك بناحية من الشمال. فأخذوها ورجعوا بها إلى عُمان آمنين فرحين بنصر الله وبما ظفروا به غانمين ، فما زالوا يجدون في السير إلى أن أتوا بها إلى نحو عمير بن محمد بن جفير ، وجعلوها هنالك عنده أمانة خوفاً عليها من الأخذ والنهب والخيانة.

وكان أحد إخوة عمير رجلاً بعلي يدعى ، فأشار عليه بعض عبيده يأخذوها جمعاً ، وأن يدخل بها على ناصر بن قطن فقال سمعاً ، فأخذوها وتوجه بها إليه ، وجعل حاله ومعتمده بعد الله عليه. ومازال ناصر بن قطن وعلي بن محمد المذكور ، يركبون ويغيرون على عُمان في بعض الشهور ، ثم لم يزل ناصر بن قطن محارباً الإمام ، واجفة وجلة منه قلوب الأنام ، قد شق على البادية خوفه في الفلوات وعم بأسه سائر الأقوام في البقاع والخلوات ، حتى التجأت البادية خوفاً منه إلى البلدان محاذرة على المواشي والأهل والولدان.

ثم أقبل غازياً إلى عُمان ، وعنده ابن عمه هلال بن علي بن قطن وبعض البدوان ، وأناخ بذلك الجيش بناحية من الجنوب ، ووجه جنوده لقطع السبل والدروب ، فوجه إليه الإمام جحفلا لهاماً وقلساً قمقاماً وأمر فيه أعمامه الكرام ، المنتخبين للقتال والصدام ، وهم سيف بن مالك وسيف بن أبي العرب وخزام ، وغيرهم من الجماعة الموصوفين لوقوع الحمام ، وعندهم من رؤساء القبائل وقدماء الأفاضل ، فالتقى الجمعان عند ذلك شر ملتقى ، إذ علم الله أن لا لهم في الحياة بقا ، فبادرت منهم للعداء أول زمرة ، وهي لذلك الجيش العرمرم جمرة ، فصدمتها الأعداء لقتلها والعدو في كثرة ، فقتلوا جميعاً بأمر الله والله بالغ أمره ، وذلك لاشتمال القضاء المحتوم ولاستكمال الأجل المعلوم ، إذ لا قدرة للإنسان على الحركات و السكون إلا بأمره جل وعلا عما يفتريه عليه المشركون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وقال المصنف المعتصم بالله المنان عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان في أولئك الأقوام الشهداء شعراً من الطويل وهو :





حقوق القضا للعاملين صوائب ... ولم يحجب الأخلاق عن ذاك حاجب
إذا قضى الله المقدر لأمرئ ... ولو في صياصيه أتته النوائب
فلله آجال قوم تكاملت ... لذي مشهد فيه القنا والقواضب
بأكبادهم وقع اللهاذم والظبا ... ولم تثنهم عنها الظنون الكواذب
أرادوا كل خير في الذي شاهدوا له ... إذا ما توقاه الجبان المجانب
قد اصطبروا وللقتل في حومة الوغى ... وقصدهم تحصيل ماهو غائب
تراهم على الدهناء صرعى بجمعهم ... نياماً عند الثرى وهو خاضب
لهم في الوغى فخراً إذا مادعوا له ... وفي السلم تغشى للناس منهم مواهب
إذا واعدوا أوفوا وإذا أوعدو عفوا ... وإن سئلوا غنوا لمن هو طالب
مضوا لقضاء الله صرعى على الثرى ... تخوض الدما منهم جياداً شوارب
لقد نخرت بالمرهفات نحورهم ... كما لجيوب قد نحرن الكواعب
وقد شربت طير الهواء دماءهم ... وأجسادهم للوحش هن مآدب
وقد عمت الأخلاق منهم مآتم ... ورزء عظيم لم يزل ومصائب
أولئك هم أهل المحامد و الحجى ... لهم في العلى فخر سما ومراتب
ألا إنهم كانو صدور مجالس ... حوتهم أوشك الحين بيد سباسب
أعد لهم ذو العرش ما أملوا به ... لكل امرئ نجح لما فيه راغب
عليهم من الرحمن واسع رحمة ... وخير جزاء إنه خير واهب

(١)

وقال المعتصم بالله الفقير عبد الله بن خلفان بن قيصر يرثى الشيخ العالم خميس بن رويشد الصفي الوفي المحرفي ، متعه الله بأمانة وجعله في حرزه وضمانه ، (من بحر الوافر) :

ألا يا عين جودي بالدموع ... ولا تصغي إلى طيب الهجوع
ونوحي العالم الزاكي خميسا ... عشية ما استقل من الربوع
فيالك من تقي لم يزل في ... القرآن أو السجود أو الركوع
ولم يبرح على الأسفار يتلو ... ولم يخشى من سغب وجوع



(١) في النسخة المخطوطة (١٨٥٦) زيادة (٢١) صفحة لم يأت بها المحقق عبدالمجيد القيسي.



ولم يسأم لنسخ من كتاب | لآثار ولا نص من الشروع
وإن يجلس لوعظ بين قوم | قلوبهم تلين من الخشوع
إذا خاطبته خاطبت حبراً | عليماً بالأصول وبالفروع
تغشاه الإله بحسن أمن | وعفواً بين محتضر الجموع
إذا ماكان في النادي تراه | لعمر أبيك كالبدر الطلوع
إذا مافاه يوماً بين قوم | يذيب إذاً لما تحت الضلوع
لقد غالته من أيدي المنايا | ينال صائبات في الوقوع
ففي دنياه عاش فتى قنوعاً | وكل الخير في الرجل القنوع
أعد له الإله جنان خلد | بها من كل حوراء شموع

قال المعتصم بربه الباري عبدالله بن خلفان بن قيصر الصحاري ، راثياً ذوي التقوى والإيمان للشيخ مسعود بن رمضان النزوي ، وسبب موته أنه تزوج أميرة صغيرة فسقته سماً في شربه وقضى نحبه. فقال فيه (الشعر من الطويل) :

أيا يا عين جودي على النحر | ولا تسأمي يا عين في مدة العمر
مضى حبرنا النطيس والعالم الذي | به الله أحيا الدين ، يالك من حبر
لقد عشت في دنياك كاسمك في الورى | كذلك في أخراك والحشر والنشر
فكل امرئ طابت طوية ذاته | لخالقه فهو المفضل بالفخر
لقد كان للإسلام ركناً شيداً | يفوق الملا بالعلم والعلم والوقر
وبحر علوم لا يقاسَ بمثله | فما بال هذا البحر غيب في القبر
عليه من الله المهيمن رحمة | تقر بها عيناه في السر والجهر
مضى حسناً في فعله طيب الثنا | فلم يلتبس يوماً لحوب ولا زور
فما زال طول العمر في صدر مجلس | لحكم بعدل في البرية أو ذكر
قضاه له الخلق بالحق فانقضى | إلى الفوز والرضوان والعفو والغفر
ولا برحت عين الرباب مسحة | على تربة قد حلها الشح بالقطر
لقد كان في الأحكام عضباً وإن يكن | بناد لفتوى العلم كان كالبحر
سما في العلا مجداً وطولاً على الملا | بحلم وعلم واسع مدة العمر





يغشاه جبار السموات دائماً ... برحمته يوم القيامة والحشر
مناقبه الحسنى إذا ما عددتها ... لعمرك لاتحصى بعد ولا حصر
فمن ذا الذي في العد والحصر يحتوي ... لما ضمت الخضراء من أنجم زهر
سقى الله ترباً قد حوت خير عالم ... وخير تقي جاء في آخر العصر

وقال المعتصم بالله الباري عبدالله بن خلفان بن قيصر الصحاري راثياً الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان النزوي ويذكر افتتاحه للصياحى وكفاحه لأهل البغي والمعاصي وسيرته المرضية ورحمة الله عليه (وهو من بحر الكامل) :

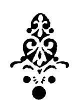
ياقلب ذب شوقاً ويا عين اسجمي ... واسقي المحاجر بالدموع وبالدم
هذي المصائب قد أحاطت بالحشا ... جمعاً فيانار المصائب أضرمي
قد كان من وقع القضا ... والرزء والأمر المهم الأعظم
ماتخشى يانفس كان وقد قضى ... فتجلدي ومن القضاء تسأمى
لمصائب عبدالله نجل محمد ... وجه البلاد لكالبهيم الأقتم
قد عاش في ذات الله مشمراً ... ومطهراً في ذاته لم يأثم
فتح الله الصياصي جملة ... في كل جيش كاللهام عرمرم
قد كاد تندرس العلوم لأجله ... والناس من فقد عليه بمأتم
ما زال يسطو في العدى ويذلها ... بمهند ماضي الضرائب مخذم
وبكل لدن أسمر ومثقف ... كسبت ذوائبه بأبيض لهذم
يادهر نح أبدا عليه بحسرة ... إذا كان بدراً في البهيم المظلم
وله بيوم الروع عزمة ماجد ... من دونه في الحرب كل غشمشم
قد عاش في خلق حسان في الملا ... ومحامد لم تنحصر كالأنجم
فهو السلام المستعد لمسلم ... وهو السهام إن أردت بمجرم
تغشاه من رب البرية رحمة ... وهي المراد له وخير المغنم
وإذا حيي المملوك من ملاكه ... عفواً وصفحاً كان رأس المقسم
فسقى الإله ضريحه وأجاده ... أبدا بقطقاط ووبل مسجم





قال المعتصم يالله الفقير لله عبدالله بن خلفان بن قيصر راثياً العالم العامل الفاضل الكامل السراج المنير بأرض عُمان ذو الرفعة والشأن الذي أضاء الله به البلاد ، ونور بوجوده قلوب العباد ، وقمع بعدله أولى العتو والعناد ، الشيخ العالم العامل محمد بن مداد ، أمده الله برحمته وبوأه بحبوح حنته وكان له موئلا بآخرته وجعل إلى الفوز والرضوان حسن عاقبته ، إنه ولي الخيرات وبادي البريات وهو على مايشاء قدير (الشعر من البحر الطويل) :

حوادث أسباب القضا في تعدد ... فإني وما تقضى به في تجدد
بها الناس قد نكبوا عثارة ولا لعا ... لها من كبو في الزمان المنكد
وشاد بأعلى لبة شجر شدا ... ووفاه بألحان حسان التردد
إذا ما شدا بالبين وهنا أجبته ... بتأويه قلب للنوائب مكمد
فما اتفك هذا دائباً سحرا وإن ... يقف لغبا بالدجن قلت له ازدد
إلى أن تبدي الصبح من غسق الدجى ... ومزق من برد له كل أسود
هموم وأحزان فلا هي تنقضي ... ولا نحن نقضى بالحمام المبدد
وذلك مما قد دهانا من البلا ... ومن نوب جم فلم تتعدد
ومما سمعت آذاننا لفوادح ... يذوب لشدات لها كل جلمد
لقد بت منها كالسلم مسهدا ... أصيب من البلوى بأنياب أسود
تتابعت الأنفاس منا تأسفاً ... لتحقيق أعلام بموت محمد
هو البحر علماً جل والأرى مطعماً ... هو الليث بأساً والحمام المعند
لقد كان شمسا للبلاد وأهلها ... وبدراً به كل الخلائق تهتدي
وكادت عُمان أن تموج بأهلها ... وينهد منها كل قصر مشيد
لقد عميت كل البلاد لفقده ... وباين أهلها السرور بمرقد
هو العالم النحرير قد كان في الملا ... لنهل وعل خير قصد ومورد
فما زال في فصل الخطاب نهاره ... وفي ليلة لما يزل في التهجد
ألا إنه النبراس في صدر مجلس ... وبدر تمام أن يحل بمسجد
لقد دهمتنا من حوادث دهرنا ... ضنى وعنى في الزاهد المتعبد
مناقبه لم تحص عدا لحاصر ... كذا كل أفعال زكت عند سؤدد

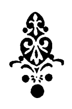




ألا يا أيام الدين صبراً على القضا لفقد ابن التقى المؤيد
فكل امرئ لو عاش دهراً مخلداً قصاراه حتف كالحسام المجرد
لقد عاش في الدنيا مطيعاً لربه فطوبى له فيما يلاقيه في غد
مقيما على تقوى الإله محافظاً ولم يستمع في الله قول مفند
فيا غافلاً بادر لربك طائعاً بحسن اعتقاد لا تكن بمقلد
تزود من الدنيا بتقواك للذي يراك فتقوى الله خير التزود
لك العون عبد الله والصبر والعزا لفقد سراج في الملا متوقد
فعش تابعاً آثار والدك التي لها سالكاً وهي الصواب المقتد
تأس خميس في فراق محمد لك الله في حبر تقي ملحد
حميم بمحض الود فيه كرامة ولقيتم خير الجزا في التودد
أعد لأهل الود في الله ماله يكل عن الإحصاء بالفم واليد
لصحة الأخبار رواها أولو الحجى لما جاء من نص الحديث المؤكد
تغشاه رب العالمين برحمة مباركة يروي بها غلة الصدى
ولا برحت جون السحائب هطلا بقبر ابن مداد تروح وتغتدى

وقال الفقير لرحمة ربه القدير ، عبد الله بن خلفان بن قيصر مادحاً الإمام الفاضل الكامل أمد الله بالسعادة أيامه ، وأسكنه بحبوح جناته دار الكرامة ، وقال شعراً من الطويل :

لقد لاح نور الحق والرشد قد بدا وأشرق برهان الإمامة والهدى
وأصبح ركن الغي والجهل طامساً وركن الهدى والدين أضحى مؤيدا
وأمسى به الدين الحنيف أبلجا وما انفك دين الشرك والإفك أسودا
إمام الورى قم في الطغاة مجاهدا فإنك منصور السرايا على العدى
فلا زلت للإسلام شمساً منيرة ولا زالت للظلام حتفاً مؤكدا
ولا تنس من هم جيرة سيدي لنا فسحقاً لهم من جيرة خلقت سدى
وكم تصدر الأخبار عنهم تشوبنا ورب العلا يكفى عدواً توعدا
يعز علينا أن نرى سوء فعلهم بجامعنا إن كان قدماً مشيدا





ودور لنا بالأمس كانت منيرة مغلقة الأبواب لن يتهددا
قضى الله فيها ما قضاه بأهلها فياليتها عن أهلها كانت الفدا
ولكننا نرجو من الله رحمة ونصرة مولانا الإمام ابن مرشدا
أمد له الرحمن في طول عمره وأسكنه بحبوح جنته غدا
فعش سيدي في النصر و العز والعلا كفيت الأسى واللوم والحتف والردى
بك الدين والحق المبين تكاملت نضارته والجيد أصبح أغيدا
كذا زمن فيه الإنام تطاولت لياليه بالأيام والرشد والهدى
له خلق محمودة في فعالها على الحصر والإحصاء لن تتعددا
سألناك يا ذا الطول والحول والبقا دواماً له في مدة الدهر سرمدا
فلا زال للإسلام كهفاً وموئلا ولا زال حتفاً للذي جار واعتدى
إذا فاه في النادي بوعظ لقومه لعمرك قد تجلوا القلوب من الصدا
به انتظم الإسلام من كل جانب كذلك به شمل الضلال تبددا
فلا زالت الأوقات تزهو بوجهه جمالا ولا زال السرور مجددا

أختم بالصالحات أعمالنا ، وحقق عند الممات آمالنا ، وأصلح في الدارين أحوالنا ، وزين بأقوالنا أفعالنا ، ولا تردنا خائبين ، واجعلنا في عبادتك راغبين ، واستجب دعانا برحمتك يا أرحم الراحمين ، ودم ملك مولانا الإمام ، وثبته على الحق مدى الليالي والأيام ، واجعل دولته منصورة على الدوام ، وخلد ملكه في سائر السنين والأعوام ، وانصر جميع ولاته وثبتهم على الحق ودلالاته ، واجعلنا وإياهم مقتدين بالكتاب وآياته ، بحق محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وذرياته [1].



(١) في المخطوطة (١٨٥٦) قصيدة لم يوردها المحقق بمقدار صفحة ونصف.

أرجوزة

أتممت هذه السيرة المرضية ... بعون الله باري البرية

يوم الثلاثاء عند وقت العصر ... إذ كان وقت ختمها والحصر

واثنين والعشرين من محرم ... ذي الفضل والآلاء والتكرم

في أول الخمسين بعد الألف ... على صحيح القوم غير خلف(١)

من هجرة المبعوث خير الأمم ... محمد المختار ونور الظلم

صلى الله عليه ذو الجلال ... كذلك الأصحاب عند الآل

ماسبحت بحثها الركائب ... وما سبحت لربها السحائب

وها أنا ذي الوزر والتقصير ... عند الإله الخالق ابن قيصر

أرجو من الله الكريم عفوا ... سبحانه الجبار وهو الأقوى

ثم الصلاة بعد حمد الباري ... على النبي المصطفى المختار

وآله وصحبه الأطهار ... ما ناحت الأطيار في الأوكار

اعذر وسامح أيها الناظر في هذه الطريقة المرضية والسيرة المعنية ، على الفور ألفتها وعلى الحث قد صنعتها وبادرت في ثبرها قريرتها ، فالعذر ملتمس لأن ذلك على غاية العجلة والأفكار بأسباب الدنيا مشتغلة. ونسأل الله اليسر والإعانة ، وهو الغني المعطي سبحانه ، ونسألكم العذر في البطئ لذلك الكتاب والله تعالى المطلع أنا ما غفلنا عنه ساعة واحدة ولكن كنا في شغله حتى استتم ، وولا لما أمرتم علينا به اختلاف. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العلي العظيم.

فبالجمعة الزهراء مات ابن مرشد ... وعشر ليال من ربيع المؤخر

وتسع وألف بعد خمسين حجة ... لهجرة من يعلو على كل مفخر(٢)

عليه صلاة الله ما لاح بارق ... وما حن وعد في السحاب السخنفر

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب والحمدلله تعالى ظاهراً وباطناً وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) ٢٢ من المحرم عام ١٠٥٠هـ - ١٥ شهر مايو ١٦٤٠م.

(٢) ١٠ من ربيع الآخرة عام ١٠٥٩هـ - ٢٤ شهر نيسان ١٦٤٩م.



الفهرس




محمد رسول الله